منشورات المكتبة الدينية العامة

آفات اللسان

(كتاب ديني ، أخلاقي ، اجتماعي ، أدبي)

بقلم
فضيلة العلامة
السيد عز الدين الموسوي الغريفي

مطبعة المعارف ــ بغداد

منشورات المكتبة الدينية العامة

آفات اللسان

(كتاب ديني ، أخلاقي ، اجتماعي ، أدبي)

بقلم

فضيلة العلامة

السيد عز الدين الموسوي الغريفي

مطبعة المعارف ـ بغداد

كلمة المكتبة

بسم الله الرحمن الرحيم

في سنة ١٣٧٨هـ المصادف سنة ١٩٥٩م أسس فضيلة العلامة السيد عز الدين الموسوي الغريفي (المكتبة الدينية العامة) وكان غرضه من تأسيس هذه المكتبة هو العمل في سبيل تركيز العقيدة الاسلامية في النفوس ، وخاصة الناشئة الذين هم أولى بالاصلاح والرعاية ، ونشر مذهب أهل البيت « ع » .

وقد استمرت المكتبة طوال هذه السنين في تأدية الرسالة الاسلامية على الوجه الأكمل .

واضافة لعملها هذا ، قرّرت إدارتها إصدار بعض الكتب الدينية النافعة ، فقدمت هذا الكتاب التوجيهي ، ليكون باكورة أعمالها . وكان قد ألّف سنة ١٣٨٣هـ المصادف سنة ١٩٦٣م . والله من وراء القصد .

إدارة المكتبة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمد ، وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد : فقد أبدع الباري عز وجل بحكمته ، فخلق الانسان من نطفة أمشاج ، في أحسن تقويم ، ناطقاً ، سميعاً ، بصيراً ، مميّزاً ، وعلّمه بالقلم ، وعلّمه مالم يعلم ، إلى غير ماهنالك من النعم العظيمة (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)[1] .

وهو بذلك لم يخلقه عبثاً ، ولم يتركه سُدىً ، بل إنما خلقه لعبادته ، وأوجب عليه طاعته ، فلم يأمره إلا بما فيه نفعه ، ولم ينهه إلا عمّا فيه ضرره ، وهو تعالى كما أثنى على نفسه غنيّ عن العالمين ، لا تنفعه طاعة من أطاعه ، ولا تضرّه معصية من عصاه . وله الحجة البالغة ، حيث هداه إلى سبل الخير وطرق الرشاد بما أودع فيه من العقل المدرك لقبح الظلم وحسن العدل وشكر المنعم ، وأرسل إليه الرسل ، وأنزل

---

(١) من الآية ٣٤ من سورة ابراهيم .

اليه الكتب . غير ان الانسان ، لخبث سريرته وسوء نيته ، يعصي خالقه جاحداً نعمه ، مستكبراً عليه ، وظالماً لنفسه[1] إلا من اتقى وعُصم[2] .

وعصيان الله تعالى عبارة عن مخالفة أحكامه بترك امتثال أوامره ونواهيه ، حيث يجب على كل مكلف أن يسير في جميع عباداته ومعاملاته وسائر تصرفاته في حياته وفق الشرع الشريف ، فيأتي بجميع ما فرض عليه من العبادات ، ويجتنب جميع ما نهى عنه من أفعال وأقوال وخاصة ما يتعلق بحقوق الناس فلا يظلم أحداً ولا يغتصب ماله ولا يهتك عرضه ففي الحديث : « لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة من نفسه وحرمة ماله كحرمة دمه . » ، فيلزمه حفظ جميع جوارحه من تعدي حدود الله والاعتداء بها على الناس (إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولا)[3] ، ويقول

---

(١) يقول تعالى : (واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونئا بجانبه) الاسراء : ٨٣ (وبنعمة الله هم يكفرون) النحل : ٧٢ . (بدلوا نعمة الله كفراً) ابراهيم : ٢٨ . (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) النحل : ٨٣ . (إن الانسان ليطغى) العلق : ٦ . (قتل الانسان ما أكفره) عبس : ١٧ . (إنه كان ظلوماً جهولا) الاحزاب : ٧٢ . (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) البقرة : ٥٧ . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة ، ولكنه حينما يموت ، ويرى اهوال القيامة ، وتعرض عليه اعماله ، يستيقظ من غفلته ، وينتبه من نومته ، كما جاء في الحديث « الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا . » والآيات الواردة في وصف مشاهد القيامة وعظيم احوالها كثيرة ، منها قوله تعالى : (بل يريد الانسان ليفجر امامه . يسأل ايان يوم القيامة . فاذا برق البصر . وخسف القمر . وجمع الشمس والقمر . يقول الانسان يومئذ اين المفر . كلا لا وزر . الى ربك يومئذ المستقر . ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر . بل الانسان على نفسه بصيرة . ولو القى معاذيره .) القيامة : ٥-١٥ .

(٢) كما جاء في التنزيل : (إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي) يوسف : ٥٣ (قال فبعزتك لأغوينهم اجمعين . الا عبادك منهم المخلصين) ص : ٨٢ و ٨٣ .

(٣) من الآية ٣٦ من سورة الاسراء .

أمير المؤمنين «ع» في حديث: «فان الله سبحانه فرض على جوارحك فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة».

وإن اللسان هو أهم تلك الجوارح وأبرزها، فلا يستصغر شأنه وإن كان صغيراً جرمه. فما أكثر آفاته، وما أعظم فلتاته. قال رسول الله «ص»: «أكثر خطايا ابن آدم في لسانه.»[1]. ومن بعض وصاياه «ص»: «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟.»، وما أكثر من يبتلى بها؟!: إما غفلة[2] منه عن تحريمها، وعظيم عقوبتها[3]، أو لأغراض دنيئة، ودواع خبيثة. ولا سيما من يحضرون المجالس والنوادي ويطلقون ألسنتهم حيث شاءت أهواؤهم، بلا تقوى ولا حياء، ولا تفكر ولا روية بالعواقب، فيسخطون الله عليهم، وهم لاهون، كأن لم يصنعوا شيئاً. فكأنهم يحضرونها لمحادة الباري عز وجل، ولارتكاب كبائر المعاصي والذنوب، ولا يعلمون ان الإنسان (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد)، وأنه يسأل عن كل كلمة شر تصدر منه[4]. الأمر الذي يدل على ضعف إيمانهم، أو انعدامه.

---

(١) تنبيه الخواطر: ـ للشيخ ورام بن ابي فراس المالكي.

(٢) هناك الثرثار، الكثير الكلام بلا منفعة ولا حاجة، فهو وإن لم يكن له في كلماته غرض فاسد، بل لمجرد عادة قد اعتادها، لا يسلم من الزلات والعثرات، لافراطه في الكلام وخروجه على الموازين، مما استوجب النهي عنه في الشريعة المقدسة.

(٣) فان فيها ما هو اشد تحريماً من الزنى والربا والسرقة، وما قد يسبب القتل والقتال وانتهاب الاموال وانتهاك الاعراض.

(٤) إن الله يعلم كل ما يقوله الانسان وما يعمله: ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة =

وأكثر من هذا ان شرذمة من الناس يمكن أن نسميهم سفهاء[1] عودوا ألسنتهم قول الشر والبذاءة والسباب، حتى عرفوا بذلك، واتقى عقلاء الناس[2] ألسنتهم[3]، فهم حينذاك، يحسبون أنه شجاعة لا يستطيع أحد الإقدام عليها.

وفي الحقيقة: ان ذلك ضعف وجبن، وجهل وحمق، فان الشجاعة وكمال العقل إطاعة المولى عز وجل، وضبط الاعصاب والتغلب عليها بمراعاة الأصول وحفظ الحقوق.

= ان الله بكل شيء عليم) المجادلة : ٧ . ويقول تعالى : (قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير) آل عمران : ٢٩ . ويقول رسول الله « ص » في وصيته لابي ذر « رض » يا اباذر : « ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ وليعلم ما يقول »(*)

وان الملائكة الموكلين بالانسان يكتبون كل مايقول وما يعمل : (وان عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون) الانفطار ١٠ ـ ١٢ . وقال عز وجل :(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد . اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) ق : ١٦ ـ ١٨ .

(١) لانهم يستطيلون على من دونهم ويخضعون لمن فوقهم، ولا يبالون بما قالوا ولا بما قيل فيهم .

(٢) كما قال تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)الفرقان : ٦٣ . (واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) : القصص : ٥٥ .

(٣) ان مثل هؤلاء ليسوا في عصرنا فحسب، بل في جميع العصور والازمان، وقد اشار اليهم زين العابدين « ع » حيث قال : « الناس في زماننا على ست طبقات : اسد، وذئب، وثعلب، وكلب، وخنزير، وشاة » حتى قال : « وأما الكلب يهر على الناس بلسانه، ويكرهه الناس من شر لسانه » (**) .

(*) الوسائل : للشيخ الحر العاملي .

(**) روضة الواعظين .

وها نحن نبين في هذا المختصر بعضاً من (آفات اللسان)، مستندين في ذلك إلى كتاب الله الكريم، وما ورد عن رسول الله «ص» واهل البيت «ع» من الأحاديث الشريفة، تنبيهاً وإنذاراً لمن يطلق لسانه، ويطيله على الناس – وقانا الله شره – وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

= ولقد ذمهم وأنذرهم رسول الله «ص» والأئمة الطاهرون «ع» في مواطن كثيرة، فمن ذلك قوله «ص»: «إن من شرار الناس من اتقي لسانه.» (*). وعن ابي عبدالله «ع»: «إن ابغض خلق الله عبد اتقى الناس لسانه.» (**). و «من خاف الناس لسانه فهو في النار.» (**).

(*) جامع الأخبار.

(**) الكافي.

تمهيد

لا يخفى ما في تلك الآفات من الأضرار والمفاسد، وما في اجتنابها من المنافع والفوائد، من الناحية الاجتماعية. فان ارتكابها يورث الأحقاد في النفوس والتباغض والتنافر واختلاف الكلمة والافساد بين أفراد المجتمع الواحد، إلى غير ذلك من صفات الشر. وان شئت فقل انها تقصم عرى الصفاء والالفة، وتهدم العلاقات الودية، والأسس الاجتماعية، وتولد المشاكل الخطيرة، وما لا يحمد عقباه كسفك الدماء، وقد قيل: «رب كلمة أحدثت محذوراً وخربت دوراً وعمرت قبوراً» و «أول الحرب كلام».

وهذا ما أشار اليه رسول الله «ص» بقوله: «فتنة اللسان أشد من ضرب السيف.»[1]، ويقول أمير المؤمنين «ع»: «ضرب اللسان أشد من ضرب السنان.»[2].

ولهذا يعذب اللسان بما لا تعذب به بقية الجوارح، كما قال رسول الله «ص»: «يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح، فيقول له: يا رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح؟ فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام، وانتهب بها المال الحرام، وانتهك بها الفرج الحرام،

---

(١) جامع الاخبار.
(٢) المصدر نفسه.

وعزتي وجلالي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك.»[1].

وهذا ما حذّر منه أمير المؤمنين « ع » بقولـه : « ولا تقل كل ما تعلم » . وقال أكثم بن صيفي : « ربما أعلم فأذر » ، قال في العقد الفريد : يريد أنه يدع ذكر الشيء وهو به عالم لما يحذر من عاقبته .

كما ان آفات اللسان تجر الخزي والشنار على صاحبه ، إذ تذهب بجلالته ووقاره، وبهائه وهيبته ، وتكشف للناس عن خبث سريرته، وسوء نيته ، فان من سلمت سريرته سلمت علانيته ، ومن خبثت سريرته خبثت علانيته ، (وكل إناء بالذي فيه ينضح)[2] .

وقد تكون سبباً لفوات منفعة عليه ، يقول أمير المؤمنين «ع» : « ورب كلمة سلبت نعمة » .

بل وأكثر من ذلك فقد تكون سبباً لحتفه ، كما قيل « مقتل الرجل بين فكيه » و « احذر لسانك لا يضرب عنقك » و « رب رأس حصيد لسان » ويقول الشاعر :

احفظ لسانك أيها الانسان ... لا يلدغنّك انّه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان[3]

ولقد بيّن ذلك كله رسول الله «ص» بقوله : « وانه ليزل عن

---

(١) الكافي .

(٢) كما يكشف اللسان عن حسن السريرة وخبثها ، فكذلك يكشف عن عقل الانسان وعلمه ، وحمقه وجهله ، يقول امير المؤمنين « ع » : المرء مخبوء تحت لسانه . »(*) .

(٣) المستطرف .

(*) نهج البلاغة .

لسانه اكثر مما يزل عن قدمه. ». على ان زلة اللسان وعثرته لا تُداوى لا كعثرة القدم، كما قال امير المؤمنين «ع»: «المرء يعثر برجله فيبرأ ويعثر بلسانه فيقطع رأسه لسانه. »، وقال أبو عبدالله الصادق «ع»:

يموت الفتى من عثرة بلسانه
وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمي برأسه
وعثرته بالرجل تبرا على مهل (1)

وقد قيل في المثل المشهور: «عثرة القدم أسلم من عثرة اللسان». بالاضافة إلى ذلك، فاجتناب تلك الآفات مما يعين على تحسين العلاقات بين أفراد المجتمع وتوثيق الروابط بينهم.

فلم ينه الدين الاسلامي عن مثل تلك الرذائل - كما لم يأمر بأضدادها من الفضائل - إلا لاصلاح المجتمع، وغرس الأخلاق الفاضلة فيه، وتزكية النفوس وتطهيرها، لرفع مستوى الانسان، وإيصاله إلى أسمى مراتب الفضيلة والكمال. وهكذا كل ما جاء به الاسلام من تعاليم وأحكام. فهو خير نظام إنساني، جاء لمصلحة الفرد، ومصلحة المجتمع.

والحقيقة ان تعود اللسان على تلك المساوىء، والاستهانة بها، مرض فتاك يجب معالجته، وداء خطير تلزم مكافحته:

إذا ألف الشيء استهان به الفتى
فلم يره بؤساً يُعد ولا نُعما
كانفاقه من عمره ومساغه
من الريق عذباً لا يحس له طعما

(1) العقد الفريد.

والعلاج : هو الخروج من خطر التعود عليها ، بإحكام العقل والتبصر في النصوص المأثورة. وتجنب قول الشر لئلا يتعوده فيصعب عليه الفرار منه . وقد قيل «اللسان مركب ذلول» أي: ان الانسان يقدر على قول الخير والشر فلا يعوّد لسانه قول الشر .

نعم. إنه - بلا ريب - يقدر على أن يسلك بلسانه سبل الخير فيلقى الخير . وأن يسلك به سبل الشر فيلقى الشر . كما يقول أبو ذر «رض»: «ان هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر» . وبتعبير آخر : يقدر على ان يغرس به الخير فيجتني الخير، وأن يغرس به الشر فلا يجتني إلا الشر. فانّ المرء إنما يجتني ما غرس : يقول أبو عبدالله الصادق «ع» : « من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فُعل به ، أما انه يحصد ابن آدم ما يزرع ، وليس يحصد أحد من المرّ حلواً ، ولا من الحلو مرّاً . » ، فأيّ عاقل يختار لنفسه الشر على الخير. ويقول أمير المؤمنين «ع» في وصية له : « وما خلق الله عز وجل شيئاً أحسن من الكلام ، ولا أقبح منه ، بالكلام ابيضت الوجوه ، وبالكلام اسودت الوجوه . » .

فاللسان - كالقلب - أطيب شيء إذا طاب ، وأخبث شيء إذا خبث. كما حُكي هذا المعنى عن لقمان «ع» ، وذلك أن دعاه مولاه يوما فقال له : اذبح لنا شاة وأخرج أطيب مضغتين فيها . فذبح شاة وأخرج القلب واللسان . وبعد مدة قال له : اذبح لنا شاة وأخرج أخبث مضغتين فيها . فأخرج اللسان والقلب . فقال له : امرتك ان تخرج اطيب مضغتين فأخرجتها ، وامرتك ان تخرج اخبث مضغتين فأخرجتها . فقال: انهما اطيب شيء إذا طابا ، واخبث شيء إذا خبثا .

ويقول امير المؤمنين «ع» : « المرء بأصغريه قلبه ولسانه » .

أجل. من طاب لسانه صلح معاشه و معاده . يقول امير المؤمنين (ع) : « من عذب لسانه كثر اخوانه . » . ويقول علي زين العابدين (ع) : « القول الحسن يثري المال وينمي الرزق وينسىء في الأجل ويحبب إلى الأهل ويدخل الجنة . »[1] .

ومن خبث لسانه فسد معاشه ومعاده. يقول امير المؤمنين (ع) : « ومن سيء عذاره قاده إلى كل كريهة وفضيحة ثم لم يخلص من دهره إلا على مقت من الله وذم من الناس » .

لهذا امر تعالى في كتابه الشريف باختيار القول الحسن . وفي الوقت نفسه حذّر من القول القبيح ، ومن عواقبه الوخيمة . قال سبحانه : (وقل لعبادي يقولوا التي هي احسنُ إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للانسان عدواً مبيناً)[2] اي : إن لم يقولوا الكلام الحسن واستعملوا الكلام القبيح فان الشيطان يفسد بينهم، ويغري بعضهم على بعض ، ويلقي بينهم العداوة والبغضاء . وقال في آية اخرى : (وقولوا للناس حسناً)[3] ، حيث امر بالقول الحسن مع الناس عامة . وقال تعالى شأنه : (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً. يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم)[4] ، فأمر بالقول السديد ، اي الصواب ، السليم من خلل الفساد ، بعد ان امر بالتقوى ، مما يدل على التلازم بينها ، فلا تقوى الا مع القول السديد ، وبنى على ذلك تقبل الأعمال ، ومغفرة الذنوب .

---

(١) الوسائل .
(٢) الآية ٥٣ من سورة بني اسرائيل .
(٣) من الآية ٨٣ من سورة البقرة .
(٤) الآية ٧٠ ومن الآية ٧١ من سورة الأحزاب .

وكما ان حسن القول مع المخاطب يورث المودّة ، فهو اسرع في التأثير عند الدعوة إلى سبل الخير ، ولذا امر به القرآن الكريم : (أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسنُ)[1] . وخاطب الله تعالى نبيه موسى وهارون (ع) بقوله : (إذهبا إلى فرعونَ إنه طغى . فقولا له قولاً ليّناً لعلّهُ يتذكر او يخشى)[2] .

كما حث سبحانه على غض الصوت عند المحادثـة : (واغضض من صوتك انّ أنكر الاصوات لصوت الحمير) .[3]

ونهى عن نهر السائل وزجره : (وأما السائل فلا تنهر[4]) .

فعلى المرء ان يلزم لسانه قول الخير ، دائماً وفي جميع الاحوال ، ليتعود عليه (لكل امرىء من دهره ماتعودا) . يقول علي بن الحسين « ع » في رسالة الحقوق: «وحق اللسان اكرامه عن الخنا[5] ، وتعويده الخير ، وترك الفضول التي لا فائدة فيها ، والبر بالناس وحسن القول

(١) من الآية ١٢٥ من سورة النحل .

(٢) الآيتان ٤٣ و ٤٤ من سورة طه .

ولكن الاسلام إلى جانب ذلك ، قد حرم موالاة الكافرين ومحبتهم والثناء عليهم ، على اختلاف أقسامهم والوانهم : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او إخوانهم او عشيرتهم) المجادلة: ٢٢ . وقال رسول الله « ص » : من احب قوماً حشر معهم ، ومن احب عمل قوم اشرك في عملهم . » . بل امر بسب من يخاف منه على الدين ، لتحذير المسلمين من سمومه ودعواته كما ستعرف ، عند موضوع الغيبة . كما ستعرف ـ في بحث السباب ـ جواز اللعن على الكافر ، والظالم ، والفاسق .

(٣) من الاية ١٩ من سورة لقمان .

(٤) الاية ١٠ من سورة الضحى .

(٥) الخنا : الفحش من الكلام .

فيهم . » . وعن أبي جعفر « ع » في كلام له : « ومن لم يملك لسانه يندم » ثم انشد :

عوّد لسانك قول الخير تحظ به
إن اللسان لما عوّدت معتاد
موكّل بتقاضي ما سننت له
في الخير والشر فانظر كيف يعتاد

وروي : ان عيسى « ع » مر به خنزير ، فقال : « مر بسلامة » فقيل له : ياروح الله ! تقول هذا للخنزير ؟ فقال : « أكره ان اعود لساني الشر . [1] » .

وإليكم - فيما يلي - ما اردنا بيانه من تلكم الآفات .

---

(١) جامع السعادات .

الكذب

وهو الاخبار عن الشيء[1] بخلاف ما هو عليه[2]، من غير فرق بين الجدّ والهزل، وبين أمور الدين والدنيا.

ومن المؤسف جداً أن الكثير من الناس قد اعتادوه، وحسبوه هيناً، وهو عند الله عظيم.

إن الكذب من كبائر الذنوب، كما روي عن أبي عبدالله الصادق (ع) وأبي الحسن الرضا (ع)[3]، وهي ماتوعّد الله سبحانه عليها النار.

إنّ الكذب «من أعظم خطايا اللسان» كما عن رسول الله (ص) في خطبة له، وخيانة كبيرة، كما يقول (ص): «كبرت خيانة أن تحدّث أخاك حديثاً هو لك به مصدّق وأنت له به كاذب.»[4].

وقال (ص) مبيّناً عظيم عقوبته: «المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك، وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش فيلعنه حملة العرش، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية، أهونها كمن يزني مع أمه.»[5]، وإذا تأملنا في عظم هذه الجريمة وخطورة

---

(١) لا بد من ان نبين ان هناك كذب الأفعال، بأن يظهر الانسان اعمالا على خلاف ما يبطنه. وهو لا يقل خطراً عن كذب الأقوال.

(٢) ويندرج تحته: الكذب على الله سبحانه، او على رسوله «ص»، او على احد الأوصياء «ع». واليمين الغموس. وشهادة الزور. والبهتان. وهي اعظم انواعه إثما، وأشدها عقوبة. وسنبين كل واحدة منها على انفرادها.

(٣) كتاب الجهاد من «الوسائل».

(٤) جامع السعادات.

(٥) جامع الأخبار.

آثارها في المجتمع، لا نستغرب وضع الشارع الكريم لها بهذه المنزلة من التحريم .

إن الكذب أرذل الرذائل ، وأخبث العيوب ، يقول الشاعر :

لا يكذب المرء إلاّ من مهانته
أو فعله السوء أو من قلة الأدب
لبعض جيفة كلب خير رائحة
من كذبة المرء في جدّ وفي لعب[1]

إن الكذب يذهب بكرامة الانسان ، وبهائه[2]، ويجعله ساقط الاعتبار بين الناس ، حتى انه لا يُصدَّق حين يَصدُق :

اذا عرف الانسان بالكذب لم يزل
لدى الناس كذاباً وإن قال صادقا

إن الكذب مرض خطير يصيب المجتمع فيفسده ويفسخه لسلبه الثقة بين الأفراد ، وتسببه هدر الحقوق وهتك الحرمات[3] .

---

(١) المستطرف .

(٢) يقول رسول الله «ص» : « وكثرة الكذب يذهب بالبهاء . »(*) ، ويقول ابو عبدالله الصادق « ع » : « ولا تكذب فيذهب بهاؤك . » .

(٣) وعلى العكس من رذيلة الكذب ، فضيلة الصدق ، التي هي الأساس الوحيد لخير المجتمع وسعادته ، وراحته وطمئنينته . لذا ترى الاسلام يأمر به ـ دائما ـ ويحبب اليه . يقول سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » التوبة : ١٢٠ ، قال ابن مسعود : لا يصلح من الكذب جد ولا هزل ، ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجز له ، إقرأوا إن شئتم هذه الآية ، هل ترون في الكذب رخصة .

ويقول رسول الله (ص) : « عليكم بالصدق فان الصدق يهدي إلى البر ، وان البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ... الحديث » . =

(*) روضة الواعظين .

إن الكذب مفتاح كل شر، ومصدر كل معصية وخبيثة. فمن استهان بالكذب استهان بالجرائم كافةً، فهو يجرأ على ارتكابها حين يرى الانكار سبيلًا إلى الخلاص منها. والى هذا أشار رسول الله (ص) بقوله: «إياكم والكذب، فان الكذب يهدي الى الفجور، والفجور يهدي الى النار.»[1]. ويقول أبو جعفر (ع): ان الله عز وجل جعل للشر أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب.»[2]. ويقول أبو محمد العسكري (ع): «جُعلت الخبائث كلها في بيت وجُعل مفتاحها الكذب.»[3]. ومن ذلك ما روي: أن رجلًا قال للنبي (ص): أنا يا رسول الله أستتر بخلال أربع الزنى وشرب الخمر والسرق والكذب فأيتهن شئت تركتها لك.

= ويقول أمير المؤمنين (ع): «ألا فاصدقوا، إن الله مع الصادقين.».

ويقول ابو عبدالله الصادق (ع): «لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فان ذلك شيء اعتاده، ولو تركه لاستوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه، واداء امانته.». إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

وقد قيل: «لكل شيء حلية، وحلية النطق الصدق». وقيل: «الصدق عمود الدين، وركن الأدب، وأصل المروءة، فلا تتم هذه الثلاثة الا به». ومن الحكم القديمة «انما فضل الناطق على الأخرس بالنطق وزين المنطق الصدق، فالكاذب شر من الأخرس». وقال ارسطاطاليس: «احسن الكلام ماصدق فيه قائله، وانتفع به سامعه». وقال المهلب بن ابي صفرة: «ما السيف الصارم في يد الشجاع بأعز له من الصدق». وقال الفضيل: «ما من مضغة احب الى الله تعالى من اللسان اذا كان صدوقا، ولا مضغة ابغض الى الله تعالى من اللسان اذا كان كذوباً». وقيل: «النجاة في الصدق، والهلاك في الكذب». ويقول الشاعر:

الصدق منجاة لأربابه ... وقربة تدني من الرب

وأخيراً: فما اسعد المسلمين، وما اهنأ عيشهم، لو التزموا بفضيلة الصدق، واجتنبوا رذيلة الكذب.

(١) جامع الأخبار.

(٢) الكافي.

(٣) جامع السعادات

قال : « الكذب » . فلما ولى همّ بالزنى ، فقال يسألني فان جحدت نقضت ما جعلت له وإن أقررت حددت ، ثم همّ بالسرق ، ثم بشرب الخمر ، ففكر في مثل ذلك ، فرجع اليه فقال : قد أخذت عليّ السبيل كله فقد تركتهن أجمع[1] .

إن الكذب يكشف عن عدم ايمان صاحبه ، لأن الايمان يحجز عن الكذب ، فالمؤمن لا يكذب ، يقول الله تعالى : (انما يفتري الكذبَ الذينَ لايؤمنونَ بآياتِ اللهِ وأولئكَ هم الكاذبون)[2] . وعن رسول الله (ص) عندما سُئِل : يا رسول الله ! المؤمن يزني ؟ قال (ص) قد يكون ذلك ، قيل : يا رسول الله ! المؤمن يسرق ؟ قال (ص) قد يكون ذلك ، قيل : يا رسول الله ! المؤمن يكذب ؟ قال (ص) : لا . ثم قرأ هذه الآية[3] . وسُئِل (ص) : أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : « نعم » ، قيل : ويكون بخيلاً ؟ قال : « نعم » ، قيل : ويكون كذاباً ؟ قال : « لا »[4] . ويقول أمير المؤمنين (ع) : « لا يجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب ، هزله وجدّه . »[5] . ويقول (ع) : « ألا فاصدقوا إن الله مع الصادقين ، وجانبوا الكذب فانه يجانب الايمان ، ألا وان الصادق على شفا منجاة وكرامة ، ألا وان الكاذب على شفا مخزاة وهلكة ، ألا وقولوا خيراً تعرفوا به ،

---

(١) شرح ابن ابي الحديد .
(٢) الآية ١٠٥ من سورة النحل .
(٣) مجمع البيان .
(٤) جامع الاخبار .
(٥) الكافي .

واعملوا به تكونوا من اهله ... الحديث »[1]. ويقول ابو جعفر (ع) : « إن الكذب هو خراب الايمان . »[2].

إن الكذب من صفات المنافقين[3] ، وأحد سببي موتهم على النفاق ، كما حكى ذلك في كتابه المجيد . قال سبحانه : (فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون)[4]. ويقول رسول الله (ص) : « ثلاث من كنّ فيه كان منافقاً وإن صام وصلى وزعم انه مسلم ، من إذا اؤتمن خان ، واذا حدّث كذب ، واذا وعد أخلف . ان الله عزّ وجلّ قال في كتابه : ان الله لا يحبُّ الخائنين[5] . وقال : أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين[6] . وفي قوله عزّ وجلّ : واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً[7] . »[8].

لذلك تواترت النصوص في النهي عنه بصورة عامة الا ما استثني[9].

---

(١) الوسائل .

(٢) الكافي .

(٣) المنافق : من يستر الكفر بقلبه ويظهر الايمان بلسانه .

(٤) الآية ٧٨ من سورة التوبة .

(٥) من الآية ٥٩ من سورة الأنفال .

(٦) من الآية ٧ من سورة النور .

(٧) الآية ٥٤ من سورة مريم .

(٨) الكافي .

(٩) وذلك في حالات خاصة ، منها :

أ- عند الضرورة ، لما فيه من المصلحة ، وقد وردت في ذلك احاديث كثيرة ، منها صحيحة اسماعيل بن سعد الأشعري ، عن ابي الحسن الرضا (ع) قال سألته عن رجل يخاف على ماله من السلطان فيحلف له لينجو منه ، قال : « لا بأس » وسألته ، هل يحلف الرجل على مال اخيه كما يحلف على مال نفسه ؟ قال : « نعم . » (*) . =

(*) المكاسب .

واليك نبذة منها (مضافاً لما مر) :

قال رسول الله (ص) في وصية له لأبي ذر (رض) : « يا أبا ذر : ويلٌ للذي يحدّث فيكذب ، ليضحك به القوم ، ويلٌ له ، ويلٌ له ! » حتى قال : « ولا تخرجن من فيك كذبة أبداً . »[1] .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « لا يصلح من الكذب جدٌّ ولا هزل ، ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا يفي له ، والكذب يهدي الى

---

(١) الوسائل .

= ومن ذلك اظهار الايمان بغير الحق ، او التبرؤ من الحق ، نطقاً او كتابة ، خوفاً من الضرر كالقتل . ويدل عليها اخبار التقية ، وهي كثيرة ، منها ما في (الاحتجاج) للطبرسي قدس سره ، بسنده عن امير المؤمنين صلوات الله عليه : « وآمرك ان تستعمل التقية في دينك فان الله عز وجل يقول : لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا ان تتقوا منهم تقاة(*) . وقد اذنت لك في تفضيل اعدائنا إن الجاك الخوف اليه ، وفي إظهار البراءة منا ان حملك الوجل عليه ، وفي ترك الصلوات المكتوبات إن خشيت على حشاشتك الآفات والعاهات . فان تفضيلك اعداءنا علينا عند خوفك لا ينفعهم ولا يضرنا ، وان اظهارك براءتك منا عند تقيتك لا يقدح فينا ، ولا ينقصنا ، ولان تبرأت منا ساعة بلسانك وانت موال لنا بجنانك لتبقي على نفسك روحها التي بها قوامها ، ومالها الذي به قيامها ، وجاهها الذي به تماسكها ، وتصون من عرف بذلك وعرفت به من أوليائنا وإخواننا ، فان ذلك افضل من ان تتعرض للهلاك ، وتنقطع به عن عمل في الدين ، وصلاح اخوانك المؤمنين . واياك ثم اياك ان تترك التقية التي امرتك بها ، فانك شائط بدمك ودم اخوانك ، معرض لنعمتك ونعمهم على الزوال ، مذل لك ولهم في ايدي اعداء دين الله ، وقد امرك الله باعزازم . فانك ان خالفت وصيتي كان ضررك على نفسك واخوانك اشد من ضرر المناصب لنا الكافر بنا . » .

ومنها : موثقة مسعدة بن صدقة ، قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : ان الناس يروون ان علياً (ع) قال على منبر الكوفة : ايها الناس انكم ستدعون الى سبي فسبوني ثم تدعون الى البراءة فلا تبرءوا مني . فقال (ع) : ما اكثر ما يكذب الناس على علي . ثم قال : انما قال : ستدعون الى سبي فسبوني ، ثم تدعون الى البراءة مني واني لعلى دين محمد صلى الله عليه وآله . ولم يقل لا تبرءوا مني . فقال له السائل : =

(*) من الاية ٢٨ من سورة آل عمران .

الفجور ، والفجور يهدي الى النار ، وما يزال احدكم يكذب حتى يقال كذب وفجر ، وما يزال احدكم يكذب حتى لا يبقى في قلبه موضع ابرة صدق فيسمّى عند الله كذاباً . »[1] .

وقال ابو جعفر (ع) : « كان علي بن الحسين ـ صلوات الله عليهما ـ يقول لولده : اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير ، في كل جد و هزل ، فان الرجل اذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير . اما علمتم ان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً ، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً . »[2] .

وبعد هذا كله ، ألا يكفي رادعاً للانسان عن ارتكاب هذه الجريمة ، حين يعلم ان الإسلام قد ذهب الى ابعد من ذلك فأوجب التحرز ، دفعاً للوقوع فيها عفواً ، فحارب الظن[3] ، وأمر بنبذ

= ارأيت ان اختار القتل دون البرائة ؟ فقال : والله ماذاك عليه ولاله الا ما مضى عليه عمار بن ياسر ، حيث اكرهه اهل مكة وقلبه مطمئن بالايمان ، فقال النبي (ص) عندها : يا عمار ، ان عادوا فعد . »(*) . وقد نزل في ذلك قوله سبحانه : (الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان) النحل ١٠٦ .

ب ـ لاصلاح ذات البين ، لما فيه من المصلحة ايضاً ، وبه وردت جملة من النصوص ، منها : صحيحة معاوية بن عمار عن ابي عبدالله الصادق « ع » قال : « المصلح ليس بكذاب . » (*) .

(١) مشكاة الأنوار .

(٢) الكافي .

(٣) يقول تعالى :
(وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظن وان هم الا يخرصون) الانعام : ١١٦ .
(وما يتبع اكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً) يونس : ٣٦ . =

(*) المكاسب .

الريب[1]، ومنع من التحدث بكل ما يُسمع[2]، والزم بالرجوع إلى العلم واليقين[3]. واكثر منه أن نهى عن قول كل ما يعلم، فكيف بتعمد الكذب ؟.

ولو ابى الا ان يكذب ـ عابثاً او لغرض سيىء ـ وخفت الحقيقة عن بعض الناس، فهل يحسب انها تخفى على الله الذي (لا يخفى عليه

= (وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون) الجاثية : ٢٣ .
(ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى) النجم ٢٣ .
الى غير ذلك من الآيات الكثيرة . ويقول رسول الله «ص» : « اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث . » .

(١) يقول رسول الله « ص » : « دع ما يريبك الى ما لا يريبك، فان الصدق طمأنينة، والكذب ريبة . » .

(٢) يقول رسول الله « ص » في وصيته لأبي ذر « رض » : « يا ابا ذر : كفى بالمرء كذباً ان يحدث بكل ما سمع . »(٤) .
ويقول امير المؤمنين « ع » في كتابه الى الحارث الهمداني « رض » : « ولا تحدث الناس بكل ما سمعت به، فكفى بذلك كذباً . » (٥) .

(٣) قال تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) بني اسرائيل : ٣٦ . وقال امير المؤمنين (ع) : «لا تقل ما لا تعلم ـ بل لا تقل كل ما تعلم ـ فان الله فرض على جوارحك فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة. »(٦). وقال (ع) في بعض وصاياه : «ولا تقل ما لا تعلم، وان قل ما تعلم . »(٧) . وعن زرارة قال : سألت ابا جعفر «ع» : ما حق الله على العباد ؟ قال: «ان لا يقولوا ما لا يعلمون، ويقفوا عندما يعلمون . » (٨) وقال ابو عبدالله (ع) : «ان الله تبارك وتعالى عير عباده بآيتين من كتابه، ان لا يقولوا حتى يعلموا، ولا يردوا ما لم يعلموا، قال الله عز وجل : الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق (٩) . وقال : بل كذبوا بما لم =

---

(٤) الوسائل .
(٥) نهج البلاغة .
(٦) المصدر نفسه .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) روضة الواعظين .
(٩) من الآية ١٦٨ من سورة الاعراف .

شيءٌ في الارض ولا في السماء)[1]؟. او تخفى على الملكين الحافظين ؟. وهل يستطيع هو ان ينكر جريمته فيما لو رجع الى ضميره[2] ؟ . ام هل تخفى على كل الناس[3] ؟ .

(النهي عن مؤاخاة الكذاب)

وقد ورد النهي عن مؤاخاة الكـذّاب ومصاحبته ، حذراً من اكتساب خُلقه الذميم «فالطبع مكتسب من كل مصحوب » .

ولأن الغرض من الصحبة إنّما هو الاستعانة بالصديق الصادق ، والكذاب لا يؤتمن ، فتنتفي معه حكمة المصاحبة ، جاء في «الكافي» عن أمـير المؤمنين (ع) قال : « ينبغي للرجـل المسلم : ان يجتنب مؤاخاة الكذاب ، فانه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يُصدّق . » .

بل واكثر من ذلك انها تضر ، فان من كذب لك على غيرك ، لا مانع له من ان يكذب عليك عند غـيرك ، فيسبّب بينكما العـداء والتباغض ، وان لم يكن من غرضه ذلك .

= يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله (٤) . »(٥) .

(١) من الآية ٥ من سورة آل عمران .

(٢) والى هذا اشار ابو جعفر (ع) حيث قال : « ان اول من يكذب الكذب الله عز وجل ، ثم الملكان اللذان معه ، ثم هو يعلم انه كاذب . »(٦) .

(٣) ولذا قيل في المثل المشهور : « في استطاعتك أن تخدع بعض الناس في بعض الاوقات ، وان تخدع بعض الناس في كل الاوقات ، ولكن ليس في استطاعتك ان تخدع كل الناس في كل الاوقات » .

---

(٤) من الآية ٣٩ من سورة يونس .

(٥) روضة الواعظين .

(٦) الكافي .

ومن الواضح أيضاً أن من كانت هذه صفته ، لا يستبعد منه ان يكون نقّالاً للكلام المثير للفتن ، فشّاء للأسرار ، فلا يؤتمن على حديث في مجلس[1] . لذا يقول أمير المؤمنين (ع) : « وأما الكذاب: فانه لا ينفعك،ويسبب لك العداوة،ويثبت لك السخائم[2] في الصدور ، ويفشي سرك ، وينقل حديثك ، وينقل أحاديث الناس بعضهم الى بعض . » .

ومن ناحية أخرى : فقد يوقعك في الدمار ، ويسبب لك الهلاك، اذ يصوّر لك الأشياء على خلاف واقعها ، كما يقول أمير المؤمنين (ع) في وصيته لولده الحسن (ع) : « وإياك ومصادقة الكذاب ، فانه كالسراب ، يقرب عليك البعيد ، ويبعد عليك القريب . »[3] . والأحاديث في مثل ذلك كثيرة .

---

(١) لقد ورد في كثير من النصوص ان المجالس بالأمانة ، أي : كالوديعة التي يجب حفظها .

(٢) السخائم : الاحقاد والضغائن .

(٣) نهج البلاغة .

الكذب على الله تعالى أو على رسوله «ص» أو على أحد الأوصياء «ع»

وهو اعظم الكذب، واشد انواعه معصية، لأن المفسدة في ذلك اعظم، فان ما يصدر منهم حجة، يحلل الحلال ويحرم الحرام.

قال الله تعالى: (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين)(1).

وقال عز شأنه: (قل ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون متاعٌ في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)(2).

وعن أبي عبدالله (ع): «الكذب على الله وعلى رسوله (ص) وعلى الأوصياء (ع) من الكبائر.»(3).

وعنه (ع) في حديث انه قال لرجل من أهل الشام: «ياأخا أهل الشام: اسمع حديثنا ولا تكذب علينا، فانه من كذب علينا في شيء فقد كذب على رسول الله (ص)، ومن كذب على رسول الله (ص) فقد كذب على الله، ومن كذب على الله عذبه الله عز وجل.»(4).

وعنه (ع)، عن آبائه (ع)، في وصية النبي (ص) لعلي (ع):

---

(1) الآية ٦٠ من سورة الزمر.
(2) الآيتان ٦٩ و ٧٠ من سورة يونس.
(3) الوسائل.
(4) المصدر نفسه.

« يا علي : من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »[1] .

وذُكر الحايك لأبي عبدالله (ع) انه ملعون ، فقال : « إنما ذاك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله . »[2] .

وكفى به ذماً انه يفطر الصائم ، فعن أبي عبدالله (ع) : « ان الكذب ليفطر الصائم » حتى قال : « إنما ذلك الكذب على الله ، وعلى رسوله ، وعلى الأئمة ، صلوات الله عليه وعليهم . »[3] .

---

(١) الوسائل .
(٢) الكافي .
(٣) المصدر السالف .

اليمين الغموس الفاجرة

وهي الحلف بالله تعالى كذباً على وقوع أمر ، او على حق امرىء ، او منع حقه .

وهي : من أقبح انواع الكذب ، وأشدها إثماً .

قال في « مجمع البحرين » : ولشدة الذنب فيها سميت بذلك ، لأنها تغمس صاحبها في الإثم ، ثم في النار ، فهي فَعول للمبالغة . اهـ

وقد عدها أبو عبدالله الصادق (ع) من الكبائر[1] في حديث عمرو ابن عبيد المروي في « الكافي » واستشهد (ع) بقوله تعالى : (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً اولئك لاخلاق لهم في الآخرة)[2].

وفي الحديث : « اليمين الغَموس هي التي تذر الديار بلاقع . »[3].

وفي آخر : « اليمين الغَموس هي التي عقوبتها دخول النار ، وهي أن يحلف الرجل على مال امرىء مسلم ، او على حقه ظلماً . »[4].

وفي آخر : « من حلف على يمين وهو يعلم انه كاذب فقد بارز الله . »[5].

وفي الحديث القدسي : « لا أنيل رحمتي من يعرضني للأيمان الكاذبة . »[6].

---

(١) وكذا الامام الكاظم ، والرضا ، والجواد ، عليهم السلام ، كما في « مرآة الكمال » .

(٢) من الآية ٧٧ من سورة آل عمران ، وتتمتها قوله تعالى : ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم) .

(٣) مجمع البحرين .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) مرآة الكمال .

(٦) المصدر نفسه .

شهادة الزور [1]

وهي : من أفحش انـواع الكذب ، إذ تولد اخطـر المشاكل الاجتماعية ، فتؤدي الى قتل النفوس المحترمـة ، او اخذ الأمـوال بالباطل. لذا نرى الاسلام ، وهو الحريص على سلامة المجتمع، وحفظ الحقوق ، حين ينهى عنها نهياً صريحاً ، يعادل بينها وبين اعظم الذنوب واكبر الكبائر وهو الشرك بالله [2] ، قال الله سبحانه : (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قـول الزور) [3] ، قال في « مجمـع البيان » : روى ايمن بن خزيم عن رسول الله (ص) انه قام خطيبـاً فقال : « أيهـا الناس : عدلت شهادة الزور بالشرك بالله » ثم قـرأ : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » ، يريد انه قد جمع في النهي بين عبادة الوثن وشهادة الزور . اهـ

وقال (ص) : « شاهد الزور كعابد الوثن . » [4] .

وقد عدها أبو عبدالله الصادق (ع) في حديث عمـرو بن عبيد المروي في « الكافي » من الكبائر [5] .

---

(١) للزور في اللغة معان (منها) الكذب ، وهو المراد هنا .

(٢) يقول سبحانه في جريمة الشـرك : (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار) المائدة : ٧٥ . (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً) النساء : ٤٧ . إلى غير ذلك من الآيات الكريمة .

(٣) من الآية ٣٠ من سورة الحج .

(٤) جامع السعادات .

(٥) وكذا الامام الكاظم ، والرضا ، والجواد ، عليهم السلام ، كما في « مرآة الكمال » .

وقال رسول الله (ص) : « من شهد شهادة زور على أحـد من الناس عُلّق بلسانه مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار . »[1] .

وقال أبو عبدالله (ع) : « لا ينقضي كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار . »[2] .

وقال(ع) : « شاهد الزور لاتزول قدماه حتى تجب له النار. »[3] .

ولم يكتف الإسلام بذلك ، بل أمر بتعزير شاهد الزور بما يراه الامـام رادعاً ، والتشهير به وفضيحته ، لتُجتنب شهادته ، ويرتدع غيره .

وقد وصف الله عباده المؤمنين بقولـه : (والذين لا يشهدون الزور)[4] .

(١) الوسائل .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) من الآية ٧٢ من سورة الفرقان .

قذف المحصنة

أي : رمي العفيفة من النساء بالفاحشة والزنى .

وهو : من أفظع المعاصي . وأعظم الجرائم .

فهو إذ يسبّب لحوق الخزي والعار بأسرة المرأة ، يجر الى القتل وسفك الدماء . .

ومن جهة اخرى انه يجرّئ الناس على ارتكاب جريمة الزنى .

وأخيراً : فهو لايخلو من طعن بالأنساب، وتضييع للذرية ولحقوقها.

وبالجملة : فأضراره الاجتماعية ، ومفاسده الأخلاقية كثيرة .لذا حرّمه الاسلام ، وأنزل على فاعله اللعنة في الدارين والعذاب العظيم ، وقاية من الفتن ، وحفظاً لنظام الاجتماع .

يقول الله تعالى : (ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذابٌ عظيمٌ)[1] .

وعدّه أبو عبدالله الصادق (ع)[2] في حديث عمرو بن عبيد المروي في « الكافي » من الكبائر ، واستشهد (ع) بقوله تعالى : (لُعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذابٌ عظيمٌ) .

ويقول أبو الحسن الرضا (ع) : « وحرّم الله قذف المحصنات لما فيه من فساد الأنساب، ونفي الولد ، وإبطال المواريث، وترك التربية،

---

(١) الآية ٢٣ من سورة النور .

(٢) وكذا النبي (ص) ، والكاظم ، والرضا ، والجواد ، (عليهم السلام) كما في (مرآة الكمال) .

وذهاب المعارف ، وما فيه من الكبائر والعلل التي تؤدي الى فساد الخلق . »[1] .

ولم يكتف الاسلام بالعقاب الأخروي لمرتكب هذه الكبيرة العظيمة ، حتى فرض عليه عقوبة دنيوية عاجلة ، لئلا تُرتكب مثل هذه المعصية المهلكة ، وهي إقامة الحد عليه . كما أمر برد شهادته ، وحكم بكونه فاسقاً ، من دون تقييد بالإصرار . يقول الله سبحانه : (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدةً ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً واولئك هم الفاسقون)[2] .

وحرمة القذف ليست مختصة بالمسلمة فقط، بل يحرم قذف حتى المشركة ، فعن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله (ع) : انه نهى عن قذف من ليس على الاسلام ، الا ّ أن يطلع على ذلك منهم ، وقال : « أيسر ما يكون أن يكون قد كذب . »[3] .

وعن أبي الحسن الحذّاء ، قال : كنت عند أبي عبدالله (ع) فسألني رجل : ما فعل غريمك ؟ قلت : ذاك ابن الفاعلة ! فنظر إليّ أبو عبدالله (ع) نظراً شديداً . قال : فقلت : جُعلت فداك ، انه مجوسي ، امّه اخته . فقال : « أوليس ذلك في دينهم نكاحاً . »[4] .

وعن عمرو بن نعمان الجعفي ، قال: كان لأبي عبدالله (ع) صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً ، فبينا هو يمشي معه في الحذّائين ، ومعه غلام له سندي يمشي خلفهما ، إذ التفت الرجل يريد غلامه ثلاث

---

(١) الوسائل .
(٢) الآية ٤ من سورة النور .
(٣) التهذيب .
(٤) المصدر نفسه .

مرّات، فلم يره ، فلما نظر في الرابعة، قال : يا ابن الفاعلة ! أين كنت؟ قال : فرفع أبو عبدالله (ع) يده فصكّ بها جبهة نفسه ، ثم قال : « سبحان الله، تقذف أمه ، قد كنتُ أرى أنّ لك ورعاً ، فاذن ليس لك ورع » ، قال : جعلتُ فداك ، إن أمه سندية مشركة . فقال : « أما علمت أن لكل أمة نكاحاً ، تنحّ عني » ، قال : فما رأيته يمشي معه حتى فرق الموت بينهما[1] .

ويعزّر القاذف هنا : فعن اسماعيل بن الفضل ، قال : سألت أبا عبدالله (ع) عن الافتراء على أهل الذمة وأهل الكتاب ،هل يجلد المسلم الحد في الافتراء عليهم ؟ قال : « لا ، ولكن يعزّر . »[2] .

ومنه يتضح كيف يحافظ الاسلام على الأخلاق والآداب ، وكيف يؤكد على صون الشرف والعرض، بين أفراد المجتمع البشري كافة ، إذ لم يفرّق في ذلك بين المسلمة والمشركة .

* * *

قذف المحصن :

وكذلك يحرم قذف المحصن ورميه بالزنى ، أو اللواط ، و يحد القاذف أيضاً .

فعن رسول الله (ص) قال : « ومن رمى محصناً ، أو محصنةً ، أحبط الله عمله ، وجلده يوم القيامة سبعون ألف ملك من بين يديه ومن خلفه ، ثم يؤمر به إلى النار . »[3] .

وعن أبي عبدالله (ع) قال : قضى أمير المؤمنين (ع) ان الفرية

---

(١) الكافي .
(٢) التهذيب .
(٣) الوسائل .

ثلاث ـ يعني ثلاث وجوه ـ إذا رمى الرجل بالزنى ، وإذا قال ان أمه زانية ، وإذا دعاه لغير أبيه ، فذلك فيه حد ثمانون . »[1] .

وعنه (ع) ، قال : « إذا قذف الرجلُ الرجلَ ـ فقال لتعمل عمل قوم لوط تنكح الرجال ـ » قال : « يجلد حدّ القاذف ، ثمانين جلدة . »[2] .

وعنه (ع) قال : كان علي (ع) يقول : « إذا قال الرجل للرجل : يامعفوج ، ويا منكوحاً في دبره . فانّ عليه الحدّ ، حدّ القاذف . »[3] .

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة .

---

(١) التهذيب .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .

الغيبـــة

وهي : ذكر المؤمن بما فيه من العيب في غيبته ، مع كراهته لذلك لو بلغه[1] .

سواء كان العيب في دينه ، كقولك : ظالم . ليس باراً بوالديه . متهاون بالصلاة . كذاب .

أو في بدنه ، كقولك : قصير . أسود . عنين .

أو في خُلقه ، كقولك : سيئ الخُلق . متكبر . بخيل . لا يسلم على أحد .

---

(١) ويستثنى من ذلك موارد ، نظراً لما فيها من المصلحة ، منها :

أ ـ المتجاهر بالفسق ، كالظلم والزنى وشرب الخمر وغير ذلك ، فيجوز اغتيابه بالعيب المتجاهر به ، لسقوط حرمته ، ولتحذير الناس من ارتكاب مثل عمله المنكر ، ويدل عليه جملة من الأخبار ، منها ما في « جامع السعادات » عن رسول الله (ص) : « من ألقى جلباب الحياء من وجهه فلا غيبة له . » . وقال (ص) : « ليس لفاسق غيبة . » . وما في « الوسائل » في عشرة الحج ، عن أبي عبدالله (ع) قال : « إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة . » .

وذهب بعض الفقهاء إلى جواز اغتيابه حتى بالعيب المستتر به .

ب ـ من يخاف منه على الدين ، فيجوز اغتيابه لتحذير المسلمين من سومه ودعواته ، وقد وردت بذلك جملة من النصوص ، منها ما رواه في « الكافي » عن داود ابن سرحان ، عن أبي عبدالله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم ، وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة ، وباهتوهم ، كي لا يطمعوا في الفساد في الاسلام ، ويحذرهم الناس ، ولا يتعلمون من بدعهم ، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة . » . ومنها ما رواه في « قرب الاسناد » عن أبي عبدالله (ع) عن أبيه (ع) قال : « ثلاثة ليس لهم حرمة ، صاحب هوى مبتدع ، والامام الجائر ، والفاسق المعلن الفسق . » .

جـ ـ الظالم لغيره ، فيجوز للمظلوم اغتيابه ، كما يدل عليه قوله سبحانه : (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) النساء : ١٤٧ . واقتصر بعض الفقهاء في الجواز على ما لو كانت النية بقصد الانتصار .

أو في فعله ، كقولك : عجول . كثير الأكل .
أو في قوله ، كقولك : لا ينطق الا بالكلام البذيء .
أو في نسبه ، كقولك : فاسق الأب . خسيس النسب .
أو في غيرها ، ممّا يتعلق به .

وهي من كبائر الذنوب ، وأعظم المهلكات ، ومن أشد الرذائل ، وأخبث الأخلاق . فقد تؤدي إلى الفتن والفساد ، والتخاصم وسفك الدماء . ولا أقل من أنها تباعد بين القلوب ، وتفرّق بين الأفراد . فلو تتبّعتَ عيوب أحد ـ مثلاً ـ وعثراته ، وجعلتَ تنشرها بين الناس ، فبلغه ذلك ، يا ترى ، هل انه يصبر ويسكت ، دون أن يبغضك ويعاديك ، ويظهر كل عيوبك ، والإنسان قلّ أن يخلو من عيوب . وقد قيل : « من غربل الناس نخلوه » ، ويقول الشاعر :

إذا شئتَ أن تحيا سليماً من الأذى
وعيشك موفورٌ وعرضك صيّن
(لسانك) لا تذكر به عورة امرئٍ
فكلّك عوراتٌ ، وللناس ألسن
(وعينك) إن أبدت إليك معايباً
فصنها ، وقل : يا عين للناس أعين

بل وأكثر من ذلك فقد يعيبك بما ليس فيك ، كما قال الشاعر :

كف عن الناس إذا شئت أن
تسلم من قول جهول سفيه
من قذف الناس بما فيهم
يقذفه الناس بما ليس فيه

ثمّ لو بلغك جوابه ، فجعلتَ تسبّه وتشتمه ، وجعل يسبّك ويشتمك ، إلى أن تضطرم نيران الفتن بينكما . ألم تكن أنت المسبب لذلك والمسؤول عنه أمام الله ؟ جاء في « الكافي » عن أبي الحسن موسى (ع) في رجلين يتسابّان ، قال « البادي منهما أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم . » . أما كان الأجدر بك أن تنظر إلى عيوب نفسك ، وتبدأ بها فتصلحها ، لا أن تتجاهلها وتنظر إلى عيوب غيرك وتظهرها بين الناس ، فلربما كانت عيوبك أكثر وأعظم من عيوبه . يقول الشريف الرضي رضي الله تعالى عنه :

وكل فتى يرنو إلى عيب غيره سريعاً وتعمى عينه عن عيوبه

ويقول آخر :

لو نظر الناس إلى عيبهم ما عاب إنسان على الناس

وقيل للربيع بن خيثم : ما نراك تعيب أحداً . فقال : لست عن نفسي راضياً فأتفرغ لذم الناس . وأنشد :

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها
لنفسي من نفسي عن الناس شاغل [1]

وفي المثل المشهور : « تُبصر القَذى في عين أخيك ولا تبصر الجِذْع في عينك » [2] . وقد نظم هذا بعض الشعراء ، فقال :

تعيب نفسك من لا يعاب وفي جنبك العيب لا تنكره
وتبصر في العين مني القَذى وفي عينك الجِذْع لا تبصره
وتعذر نفسك من غير عذر وغيرك بالعذر لا تعذره

(١) المستطرف .
(٢) العقد الفريد .

فما أنصف المرء من نفسه إذا كان يأتي الذي ينكره[1]

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة :

يقول رسول الله (ص) : « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس من إخوانه . »[2] .

ويقول أمير المؤمنين (ع) : « وإنما ينبغي لأهل العصمة ، والمصنوع إليهم في السلامة ، أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية ، ويكون الشكر هو الغالب عليهم ، والحاجز لهم عنهم ، فكيف بالغائب الذي غاب أخاه ، وعيّره ببلواه ، أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه مما هو أعظم من الذنب الذي غابه به ، وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله ، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو أعظم منه ، وأيم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس أكبر. يا عبد الله : لا تعجل في عيب أحد بذنبه . فلعله مغفور له ، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه ، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه ، وليكن الشكر شاغلاً على معافاته مما ابتُلي به غيره . »[3] .

ويقول (ع) : « من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره . »[4] .

---

(١) روضة الواعظين .
(٢) مرآة الكمال .
(٣) نهج البلاغة .
(٤) المصدر السالف .

وكان من جملة وصايا الخضر (ع) لموسى (ع) أن قال له :
« اذكر خطيئتك وإياك وخطايا الناس . »[1] .

ويقول عيسى (ع) في حديث : « ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب ، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد ، والناس رجلان مبتلى ومعافى ، فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية . »[2] .

وكما تكره أن تُذكر بسوء ، فلتكره لغيرك ان يذكر بسوء ، يقول امير المؤمنين (ع) في وصيته لولده الحسن (ع) : « يا بني : اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك ، فاحبب لغيرك ما تُحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تُحب ان تُظلم ، وأحسن كما تُحب ان يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارضَ من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم ، وإن قلّ ما تعلم ، ولا تقل ما لا تُحب ان يقال لك . »[3] .

هذه هي حقيقة الاسلام ، وهذه هي آداب الاسلام ، ما اجملها ، وما اروعها !!

ولو كنتَ تريد إصلاح فاسد في مؤمن ، كان عليك إعلامه ونصحه سرّاً ، فيما بينك وبينه ، لا أن تبادر إلى اغتيابه ، وقد ورد ان أحب الاخوان من يعرّفك عيبك نصحاً[4] .

---

(١) مرآة الكمال .
(٢) مجمع البيان .
(٣) نهج البلاغة .
(٤) مرآة الكمال .
ويقول أمير المؤمنين « ع » في حديث الأربعمائة: « المسلم مرآة اخيه ، فاذا رأيتم=

ولكنك لو أبيت إلا أن تغتاب من تبغضه، لغرض التشفي منه، فان دلّ ذلك على شيء، فانما يدل على عجزك وضعفك، كما يقول أمير المؤمنين (ع): «الغيبة جهد العاجز.»[1]، أي: أقصى ما يقدر عليه.

ولو ذكرته بعيب في بدنه، فهل هو الاّ اعتراض على الله سبحانه في خلقه وحكمته، رُوي: ان نوحاً (ع) مرّ على كلب كريه المنظر، فقال نوح: ما أقبح هذا الكلب. فجثى الكلب وقال بلسان طلق ذلق: إن كنت لا ترضى بخلق الله فحولني يا نبي الله. فتحير نوح (ع) وأقبل يلوم نفسه بذلك، وناح على نفسه أربعين سنة، حتى ناداه الله تعالى: إلى متى تنوح يا نوح فقد تبت عليك[2].

وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الغيبة، وقرنها بأكل لحم الأخ ميتاً بقوله: (ولا يغتب بعضُكم بعضاً. أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميْتاً؟ فكرهتموه)[3].

قال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً لكراهية الطبع، كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته لكراهية العقل والشرع، لأن دواعي العقل والشرع أحق بالاتباع من دواعي الطبع، فانّ داعي الطبع أعمى، وداعي العقل بصير[4].

والأحاديث في ذمها وعظم شأنها كثيرة، لا يمكن حصرها، وإليك شطراً منها:

= من اخيكم هنوة فلا تكونوا عليه البأ، وكونوا له كنفسه وارشدوه وانصحوه وترفقوا به.».

(١) نهج البلاغة.

(٢) جامع الأخبار.

(٣) من الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(٤) مجمع البيان.

قال رسول الله (ص) في وصية له: « يا أبا ذر: إياك والغيبة، فانّ الغيبة أشد من الزنى» قلت: ولمَ ذاك يارسول الله؟ قال: « لأنّ الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تُغفر حتى يغفرها صاحبها. يا أبا ذر: سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه» قلت: يارسول الله! وما الغيبة؟ قال: « ذكرك أخاك بما يكره» قلت: يا رسول الله! فإن كان فيه الذي يذكر به؟ قال: « إعلم انك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته.»[1].

وخطب (ص) يوماً فذكر الربا وعظم شأنه، فقال: « إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم.»[2].

وقال (ص): « من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً ... الحديث»[3].

وعن أبي عبدالله الصادق (ع) عن آبائه (ع) في حديث المناهي، ان رسول الله (ص) نهى عن الغيبة، وقال: « من اغتاب امرءاً مسلماً بطل صومه، ونقض وضوؤه، وجاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة انتن من الجيفة يتأذى به أهل الموقف، وإن مات قبل أن يتوب مات مستحلاً لما حرّم الله عز وجل.»[4].

---

(١) الوسائل.
(٢) جامع السعادات.
(٣) الوسائل.
(٤) المصدر السالف.

وقال (ص) : « من مشى في غيبة أخيه و كشف عورته ، كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم ، فكشف الله عورته على رؤوس الخلائق ، ومن اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوؤه ، فان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرّم الله . »[1] .

وقال (ص) : « من اغتاب مسلما أو مسلمةً لم يقبل الله تعـالى صلاته ولا صيامه أربعين يوما إلاّ أن يغفر له صاحبه . »[2] .

وقال (ص) : « من اغتاب مسلما في شهر رمضان لم يؤجر على صيامه . »[3] .

وقال (ص) : « مررت ليلة أُسريَ بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم ، فقلت : يا جبرئيل ! من هؤلاء ؟ » قال : « الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم . »[4] .

وخطب (ص) يوما حتى أسمع العواتق في بيوتها ، فقال : «يامعشر من آمـن بلسانه ولم يؤمن بقلبـه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانّ من تتبع عورة أخيه يتتبع الله عورته حتى يفضحه الله في جوف بيته . »[5] .

وقال (ص) : « يؤتى بأحدكم يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى ، ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول : إلهي ليس هذا كتابي ، فإني لا أرى فيه طاعتي . فيقول له : إن ربك لا يضل ولا

---

(١) جامع السعادات .
(٢) جامع الأخبار .
(٣) المصدر السالف .
(٤) جامع السعادات .
(٥) المصدر السالف .

يني ، ذهب عملك باغتياب الناس . ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه، فيرى فيه طاعات كثيرة ، فيقول : إلهي ما هذا كتابي فإني ما عملت هـذه الطاعات . فيقول لـه : إن فلانـاً اغتابك فدفعت حسناته إليك . »[1] .

وقال أبو عبدالله (ع) : « من قال في مؤمن مارأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل : إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشةُ في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ[2] . »[3] .

وقال (ع) : « من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروّته ، ليسقطه من أعين الناس ، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان ، فلا يقبله الشيطان . »[4] .

وقال (ع) : « الغيبة حرام على كل مسلم ، وإنها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . »[5] .

وأوحى الله تعالى إلى موسى (ع) : « من مات تائبـا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ، ومن مات مصـرّاً عليها فهو أوّل من يدخل النار . »[6] .

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

ويحرم استماعها ، ويجب على سامعها نصرة المغتاب (المستغاب)

(١) جامع السعادات .
(٢) من الآية ١٩ من سورة النور .
(٣) الكافي .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) جامع السعادات .
(٦) المصدر نفسه .

والردّ عنه ، وإلاّ شارك المغتاب (المستغيب) في الوزر . ولا ريب في انه لو استمع لـه وأنصت ، طاب للمغتاب مجلسه ، فاسترسل في كلامه ، وأكثر من أكل لحوم الناس ، أما لو ردّه وأنكر عليه فعله وأرشده ، وإلاّ فلو تركه وفارق المجلس ، لكان ذلك أكبر رادع له عن ارتكاب هذه الرذيلة .

والأخبار الواردة في هذا المعنى كثيرة ، نقتطف منها ما يلي :

قال رسول الله (ص) : « المستمع أحد المغتابين . » .

وفي حديث المناهي ، ان رسول الله (ص) نهى عن الغيبة والاستماع إليها ، وقال : « ألا ومن تطوّل على أخيه في غيبة سمعها فيه في مجلس فردّها عنه ، ردّ الله عنه ألف باب من الشرّ في الدنيا والآخرة . فان هو لم يردها وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرّة . »[1] .

وعنه (ص) في وصية له لأبي ذر (رض) ، قال : « يا أبا ذر : من ذب عن أخيه المؤمن الغيبة، كان حقاً على الله أن يعتقه من النار. يا أبا ذر : من اغتيب عنده أخوه المؤمن وهو يستطيع نصره فنصره، نصره الله عز وجل في الدنيا والآخرة ، وإن خذله وهو يستطيع نصره ، خذله الله في الدنيا والآخرة . »[2] .

وعنه (ص) : « ما عمر مجلس بالغيبة الاّ خرب من الدين ، فنزهوا أسماعكم من استماع الغيبة ، فانّ القائل والمستمع شريكان في الإثم . »[3] .

---

(١) الوسائل .
(٢) المصدر السابق .
(٣) جامع الأخبار .

وعنه (ص) ، ان من حقوق المسلم على المسلم أن يرد غيبته .

ويقول الشاعر في ذلك :

وسمعك صن عن سماع القبيـــح كصون اللسان عن النطق به
فانّك عند سماع القبيـــح شريكٌ لقائله فانتبه
وكم أزعج الحرص من طالبٍ فوافى المنيّة في مطلبه[1]

وحكى في «مجمع البيان» عن ميمون بن شاة قال : بينا أنا نائم إذا بجيفة زنجي وقائل يقول : كل يا عبدالله. قلت : ولمَ آكل ؟ قال : بما اغتيب عندك فلان . قلت : والله ماذكرت فيه خيراً ولا شراً . قال: لكنك استمعت فرضيت. وكان ميمون بعد ذلك لايدع أن يغتاب عنده واحد .

ولو ردّه المستمع بلسانه ، وقلبه يشتهي سماعها ، فهو نفاق ، ولا يخرجه من الإثم.

وليحذر السامع من المغتاب ، فانه كما اغتاب غيره عنده ، لامانع لديه ولا وازع من أن يغتابه عند غيره .

هذا هو جزء قليل من الآداب الإسلامية ، ونحن إذ نشيد بعظمتها ، نهيب بالمسلمين إلى الأخذ بها ، وتطبيقها تطبيقاً صحيحاً .

---

(١) المستطرف .

البهتـــان

وهو : ذكر المؤمن بما يعيبه وليس هو فيه ، سواء كان في غيابه أو في حضوره .

وهو أشد إثماً من الغيبة : لأنه يشتمل على الكذب الذي هو من أعظم الكبائر ، وعلى الغيبة إن كان في غيبتـه ، وعلى النميمة إن كان الغرض منه الإفساد أو السعاية .

ويسبّب من الأخطار والمفاسد الإجتماعية أكثر ممّا تسبّبه الغيبة، إذ أن المبهوت حين يعلم بما يُفترى عليه ، يتحمس أكثر من المغتاب، فلا يصبر عن مخاصمة البَهوت (مرتكب البهتان) ، وحينئذٍ قد تحدث نتائج سيئة لا مناص منها .

لهذا نهى الاسلام عن ارتكاب هذه الرذيلة ، متوعّداً مرتكبها أشد العقاب .

قال الله تعالى : (ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مُبيناً)[1] في « الوسائل » عن العياشي في تفسيره عن أبي عبدالله (ع) في حديث قال : « فأمّا إذا قلتَ ما ليس فيه ، فذلك قول الله عز وجل : فقد احتمل بهتاناً وإثماً مُبيناً . » .

وعن الرضا (ع) عن آبائه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « من بهت مؤمناً أو مؤمنةً أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج ممّا قال فيه . »[2] .

---

(١) الآية ١١١ من سورة النساء .

(٢) الوسائل .

وعنه (ص) في حديث: «ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه فقد انقطعت العصمة بينهما وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير.»[1].

وعن أبي عبد الله (ع): «من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبالٍ حتى يخرج ممّا قال» قلت: وما طينة خبال؟ قال: «صديد يخرج من فروج المومسات.»[2].

---

(١) الوسائل.

(٢) الكافي.

النميمـــة

وهي : نقل الحديث من شخص إلى آخر، أو من قوم إلى آخرين، على وجه الإفساد ، أو السعاية إن كان المحكي له من يُخاف جانبه ، وجاهاً أو غياباً .

وهي من كبائر الذنوب ، وأقبح المنكرات ، وأرذل العيوب. فكم من حوادث لا تحصى سُفكت فيها الدماء ، أو فُرّق فيها بين الأحباء بسبب النميمة، فكم فسّخت من روابط الأسرة ، وأحدثت التباغض بين أفرادهـا ، كما هو منتشر في المجتمعات التي لا تتحلى بطابع الفضيلة والامتثال لأوامره تعالى . ولو تتبعنا قضايا الطـلاق لوجدناها أكثر حدوثاً في تلك المجتمعات ولأسباب أبرزها النميمة التي لا تبقي للاصلاح مجالاً ولا من الفراق بدّاً .

ولو أردنا تعداد النتائج الوخيمة للنميمة أو ضرب الأمثلة لها لطال المقام، ولكن : حسبنا أن نورد في هذا المختصر حادثاً واحداً:

نُقل : أن رجلاً باع عبداً فقـال للمشتري : ما فيه عيب إلا النميمة. قال: رضيت . فاشتراه ، فمكث الغلام أياماً ، ثم قال لزوجة مولاه : إن زوجـك لا يحبك ، وهو يريد أن يتسرى عليك ، وأنا أسحره لك في شعره . فقالت : كيف أقدر على أخذ شعره ؟ فقال : إذا نام فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات. ثم قال للزوج : إن امرأتك اتخذت خليلاً وتريد أن تقتلك، فتناومْ لها حتى تعرف. فتناومَ فجاءته المرأة بالموسى ، فظن أنها تقتله ، فقام وقتلها ، فجاء أهلها

وقتلوا الزوج ، فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر بينهم[1] .

ومن حوادثها الكثيرة المتكررة يتضح عظيم شرهـا ، وكبير خطرها في المجتمع ، وأنها شر من الغيبة والبهتان[2] . وأن صاحبهـا أخبث الخلق ، فانّ من يسعى بالنمائم ، ويفسد بين الناس ويضـرب بعضهم على بعض ، ولا يحب في الحيـاة الاّ التباغض والتفريـق ، والتنازع والتخاصم ، هو شر الناس وأرذلهم ، ووجوده يضر بالمجتمع .

لهذا نرى الاسلام وهو الحريص على وحدة المجتمع وصحته ، يشدد النهي عنها إذ يتوعد مرتكبها بأشد العقاب ، لردعه وإصلاحه . يقول الله تعالى : (ويلٌ لكل هُمزةٍ لمزةٍ)[3] ، جاء في «مجمع البيان» عن ابن عباس (رض) ، ان هذا وعيد من الله سبحانه لكل مغتاب غياب مشّاء بالنميمة مفرّق بين الأحبة .

وما ورد عن أهل البيت (ع) أكثر من أن يحصى :

فعن أبي عبدالله (ع) قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وآله : « ألا أنبئكم بشرار كم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « المشّاؤن بالنميمة المفرّقون بين الأحبة الباغون للبرآء المعايب . »[4] .

وقال (ص) في حديث : «وإن أبغضكم إلى الله المشّاؤن بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الملتمسون للبرآء العثرات . »[5] .

وقال (ص) في وصية له لأبي ذر (رض) : « يا أبا ذر : لا يدخل

---

(١) جامع السعادات .
(٢) وإن كانت ، في الغالب ، لا تخلو من أحدهما .
(٣) الآية ١ من سورة الهمزة .
(٤) الكافي . ومعنى البراء : البريئون .
(٥) جامع السعادات .

الجنة القتّات » قلت : يا رسول الله ! ما القتّات ؟ قال : « النمام . يا أبا ذر : صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله في الآخرة »[1] .

وقال (ص) في خطبة له : « ومن مشى في نميمة بين اثنين سلّط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة ، وإذا خرج من قبره سلّط الله عليه تنيناً أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار . »[2] .

وقال (ص) : « أيّما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بري‌ء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله أن يدينه بها يوم القيامة في النار . »[3] .

وقال (ص) : « لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فاني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر . »[4] .

وقال أبو جعفر (ع) : « محرّمةٌ الجنة على القتّاتين المشّائين بالنميمة . »[5] .

وقال أبو عبد الله (ع) : « أربعة لا يدخلون الجنة : الكاهن ، والمنافق ، ومدمن الخمر ، والقتات وهو النمام . »[6] .

ورُوي : انه أصاب بني اسرائيل قحط ، فاستسقى موسى (ع) مرات فما أجيب ، فأوحى الله تعالى إليه : « إني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة » ، فقال موسى : « يا رب : من هو

---

(١) الوسائل .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) جامع السعادات .
(٤) المستطرف .
(٥) الكافي .
(٦) الوسائل .

حتى نخرجه من بيننا ؟ » فقال : « يا موسى : أنهاكم عن النميمة وا كون نمّاما » . فتابوا بأجمعهم ، فسقوا[1] .

ورُوي : أنها توجب عذاب القبر . إلى غير ذلك من الأخبار .

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فقد نهى الاسلام عن إطاعة مثل هذا الانسان وقبول حديثه ، بقوله سبحانه : (ولا تطع كل حلاف مهين . هماز مشاء بنميم)[2] . فعلى من تُحمل إليه النميمة ان لا يصدّق النمام ، ولا يصغي إلى كلامه ، لأن قبول النميمة لا يقل شراً عن النميمة ، بل هو شر منها ، كما نُقل عن الفضل بن سهل انه كتب في جواب كتاب ساع : نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية ، لأن السعاية دلالة ، والقبول اجازة ، وليس من دل على شيء وأخبر به كمن قبله وأجازه ، فاتّقوا الساعي فانه لو كان في سعايته صادقاً لكان في صدقه لئيماً إذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة[3] .

ولأن النمام فاسق ، والفاسق لا يقبل خبره بحكم قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبا فتبيّنوا أن تُصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)[4] . وقد استدل أبو عبدالله (ع) بهذه الآية على عدم قبول قول النمام ، يقول للمنصور في حديث : « لا تقبل قول من حرّم الله عليه الجنّة ومأواه النار ، فان النمام شاهد

---

(١) جامع السعادات .
(٢) الآيتان ١٠ و ١١ من سورة القلم .
(٣) المستطرف .
(٤) الآية ٦ من سورة الحجرات .

زور ، وشريك ابليس في الاغراء بين النـاس ، وقد قال الله تبارك وتعالى : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق ... الحديث »[1].

ومن طريف ما ينقل عن الأحنف : ان معاوية كلّمه في شيء بلغه عنه ، فأنكره الأحنف ، فقال له معاوية : بلّغني عنك الثقة . فقال له الأحنف : إن الثقة لا يبلّغ مكروهاً[2].

بل عليه أن ينهاه عن فعله ، ويوبّخه : كما روي عن أمير المؤمنين (ع) ، أن رجلاً أتاه يسعى اليه برجل ، فقال : « يا هذا : نحن نسأل عن من قلت ، فان كنت صادقاً مقتناك[3] ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت أن نقيلك أقلناك » ، قال : أقلني يا أمير المؤمنين[4].

ونُقل : أن رجلاً زار بعض الحكماء ، وأخبره بخبر عن غيره ، فقال : قد أبطأت عني الزيارة ، وبغّضت إليّ أخي ، وشغلت قلبي الفارغ ، واتهمت نفسك الأمينة[5].

ودفع إنسان رقعة إلى الصاحب بن عباد يحثه فيها على أخذ مال يتيم ، وكان مالاً كثيراً ، فكتب اليه على ظهرها : النميمة قبيحة وإن كانت صحيحة ، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والساعي لعنه الله ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله[6].

كما عليه أن يحذر منه ، فان من نمّ اليه ، لا مانع لديه من أن ينمّ عليه .

---

(١) الوسائل .
(٢) المستطرف .
(٣) أي : ابغضناك اشد البغض .
(٤) جامع السعادات .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) المستطرف .

وللشعراء أقوال كثيرة ، تحذّر الناس من النمّام ومن سمومه الفتّاكة ، نذكر منها ما يلي :

قال بعضهم :

مـن يخبّرك بشـتمٍ عن أخٍ   فهـو الشاتم لا من شتمك
ذاك شيءٌ لم يواجهـك بـه   انما اللوم على من أعلمك[1]

وقال آخر :

من نمّ في الناس لم تؤمن عقاربه   على الصديق ولم تؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يدري به أحد   من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه   والويل للود منه كيف يفنيه[2]

وقال آخر :

يسعى عليك كما يسعى اليك فلا   تأمن غوائل ذي وجهين كيّاد[3]

وقال آخر :

لا تقبلـن نميمـةً بُلّغتَها   وتحفّظن من الذي أنباكهـا
لا تنقشن برجل غيرك شوكةً   فتقي برجلك رجل من قد شاكها
إن الذي أنباك عنه نميمة   سيدب عنك بمثلها قد حاكها

وقال آخر :

ولا تثقـنّ بالنمّام فـيما   حباك من النصيحة في الخلاء
وأيقـن أن ما أفضـى اليه   من الأسرار منكشفُ الغطاء

---

(١) المستطرف .
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر نفسه .

وقال آخر :

إن يعلموا الخير أخفوه وإن علموا
شرّاً أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا[1]

وقال آخر :

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً
مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صمٌّ اذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به
وإن ذُكرتُ بسوء عندهم أذنوا[2]

والأمثال والحكم في ذم النميمة ومرتكبها، تغنينا شهرتها عن ذكرها.

وختام القول، ماذكره في «الوسائل»، عن محمد بن فضيل، عن أبي الحسن موسى (ع)، قال: قلت له: جُعلت فداك، الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فأسأله عنه، فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقاة، فقال لي: «يا محمد: كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قَسامة[3]، فقال لك قولاً، فصدقه وكذبهم، ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به، وتهدم به مُرُوّته فتكون من الذين قال الله: إن الذين يُحبون أن تشيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة[4]».

---

(١) المستطرف .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) القسامة : الذين يقسمون على دعواهم .
(٤) من الآية ١٩ من سورة النور .

ومنه يتضح كيف ان الاسلام أراد من المسلمين أن يتعايشوا بالإلفة والمودّة، التي هي الأساس المتين لخيرهم وتقدمهم، لا بالفرقة والعداء، وأن لا يصدّق المؤمن على أخيه قولاً في شيء هو ينكره مهما كان الناقلون في العدد والكثرة، وفي الوثاقة والعدالة[1]، بل حتى لو أبصره بعينه أو سمعه باذنه[2]، وأن لا يكون أحدهم سبباً لهتك الآخر ونشر شيء يؤذيه[3].

---

(١) لا يخفى ان ذلك في غير موارد الشهادات والحقوق، أما فيها فتكفي البينة العادلة. على انه قد نهى الاسلام ـ في موضوع الشهادات ـ عن قبول شهادة العدو، بالعداوة الدنيوية ـ قالوا: وتعرف بالسرور في حزنه، وبالعكس ـ أي: حتى ولو كان الشاهد عادلا.

(٢) لا نريد بذلك وضع ثقته بكل أحد، واعتماده على من لا يعرفه، أو من صدرت منه الاساءة، فقد قيل: ان من علامات الحمق ثقته بمن لا يعرفه. وفي الحديث، لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. وفي رواية عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله (ع): «لا تثقن بأخيك كل الثقة فان صرعة الاسترسال لا تستقال.(*)»، وغيرها من الروايات. بل عليه أن يتثبت في أموره، ويتوقف ـ عند الشك أو الظن ـ في ترتيب آثار الصحة حتى يتحقق. وانما الذي نريده أن لا يسيء بأخيه الظن لمجرد الشهرة، ولا يرتب آثار التهمة، مثلا: لو سمعت كلاماً من مؤمن بعيد، وشككت في انه سلام او شتم، فعليك أن تحمله على الوجه الحسن وهو السلام، وإن كان لا يلزمك ترتيب الآثار كالرد.

(٣) وبذلك وردت احاديث كثيرة، يقول رسول الله (ص) في حديث: «من اذاع فاحشة كان كمبتدئها»(**). ويقول ابو عبدالله (ع): «من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من اعين الناس اخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان.»(**). ويقول (ع): «من روى على اخيه رواية يريد بها شينه وهدم مروته اوقفه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال.». وفي حديث آخر: «من روى على اخيه المؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته وقفه الله تعالى في طينة خبال في الدرك الأسفل من النار.»(***).

(*) الرسائل، للشيخ مرتضى الانصاري.

(**) الكافي.

(***) جامع الأخبار.

كما نهى الإسلام الفردَ عن إساءة الظن باخوانه لمجرّد قول النّمام، أو لشبهة أخرى، وأمره أن يحمل أفعالهم على الوجه الحسن[1]. يقول الله تعالى: (يا أيّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً مِنَ الظنّ إن بعضَ الظن إثمٌ)[2]، وهو ظن السوء. ويقول أمير المؤمنين (ع): «أيّها الناس: من عرف من أخيه وثيقة دين، وسداد طريق، فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرجال، أما إنه قد يرمي الرامي وتخطئ السهام، ويحيل الكلام[3]، وباطل ذلك يبور، والله سميع وشهيد، أما إنه ليس بين الباطل والحق إلاّ أربع أصابع.»[4].

ويقول (ع): «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً.»[5]. ويقول (ع) في حديث الاربعمائة: «اطرحوا سوء الظن بينكم فان الله عز وجل نهى عن ذلك.». ويقول (ع): «لا يفسدك الظن على صديق أصلحه لك اليقين.». ويقول علي زين العابدين (ع): «إنّ المؤمن أخو المؤمن لا يشتمه، ولا يحرمه،

---

(١) وحتى لو علم من أحد شذوذاً، فلا يبادر إلى الطعن فيه، إذ لعل له عذراً، وقد لا يمكنه ابداؤه، لذا قالوا في أمثالهم: رب سامع خبري لم يسمع عذري، ورب ملوم لا ذنب له، ولعل له عذراً وأنت تلوم. وقالوا: المرء أعلم بشأنه.

(٢) الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(٣) أي: يتغير عن الحق.

(٤) نهج البلاغة. قال الشريف الرضي رضي الله تعالى عنه: فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه، ثم قال: الباطل أن تقول سمعت، والحق أن تقول رأيت.

(٥) الكافي. ويقول الشاعر:

إذا ما أتت من صاحب لك زلة ... فكن انت محتالا لزلته عذرا

ولا يسيء به الظن . ». ويقول أبو عبدالله (ع) : « إذا اتهم المؤمن أخاه انماث[1] الايمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء . »[2] . ويقول (ع) : « من اتهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما ، ومن عامل أخاه بمثل ما عامل به الناس فهو بريء مما ينتحل . »[3] . إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

وهذا مما خطه الإسلام من قواعد وأحكام ، لبناء أفضل مجتمع ، يسوده العطف والمحبة ، والسعادة والاطمئنان ، وفي طابع من العدالة الحقة ، إذ لا يرضى من المسلمين إلا أن يتصفوا بالتراحم والرفق فيما بينهم ، بقلوب زكية طاهرة . قال الله تعالى : (أشداء على الكفار رحماء بينهم)[4] .... (أذلة[5] على المؤمنين أعزة على الكافرين)[6]. وقال رسول الله (ص) : « يقول الله تعالى : اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي . »[7] .

---

(١) اي : ذاب .

(٢) الكافي .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) من الآية ٢٩ من سورة الفتح .

(٥) من الذل الذي هو الرحمة والرفق ، أي رحماء على المؤمنين ، لا الذل الذي هو الهوان .

(٦) من الآية ٥٧ من سورة المائدة . وبذلك اثنى على نبيه الكريم «ص» فقال : (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران : ١٥٩ . وورد في الحديث : « المؤمن غر كريم » ، قال في مجمع البحرين : اي ليس بذي مكر ، فهو ينخدع لانقياده ولينه ، وهو ضد الخب . وفي النهاية : ان المؤمن المحمود ، من طبعه الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه ، وليس ذلك منه جهلا ، ولكنه كرم وحسن خلق . اه

(٧) جامع السعادات .

وهو بعض مما حققه دين الانسانية ، توثيقاً لروابط المجتمع المثالي . وناهيك به من نظام راسخ متين من لدن سميع عليم ، يعالج مشاكل الحياة في جميع الأزمنة والأمكنة . لا يقوى على النيل منه أو الوقوف أمامه أي نظام من وضع الانسان . وحبذا لو عملت به الأمم لتنال السعادة المنشودة لخير البشر .

(ذلك بأنّ الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل)[1]

(١) من الآية ٦٢ من سورة الحج .

سب المؤمن [1]

سواء كان في حضوره أو في غيبته .

وهو من كبائر الذنوب [2] ، وأشنع الخبائث ، وأرذل القبائح .

وهل يسبّب غير التفرقة والبغضاء ؟ .

وهل يثير غير الصراع والفتنة ؟ .

والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جداً ، وإليكم منها مايلي :

قال أبو جعفر (ع) : إن رجلاً من بني تميم أتى النبي (ص)

---

(١) السب (ويطلق عليه الشتم) وصف الشيء بما هو ازراء ونقص ، وبتعبير اوضح : إنشاء كلام سوء على غيره . فيدخل تحته : اللعن ، والطعن (الذم) ، علاوة على ورود النهي عنها صريحاً في احاديث كثيرة .

وقد مر عليك عن رسول الله «ص» ، الأمر بسب من يخاف منه على الدين .

كما يجوز اللعن على الكافر ، والظالم ، والفاسق ، فقد ورد ذلك في كتاب الله العظيم ، وعلى لسان نبيه الكريم «ص» : قال الله تعالى : (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) البقرة : ١٦١ . وقال سبحانه : (ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) البقرة : ١٥٩ . وغيرهما من الآيات الكثيرة . وقال رسول الله «ص» : «لعن الله الكاذب ولو كان مازحاً .» . وقال «ص» : «ملعون من سب والديه .» . وقال «ص» : « ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب : الزائد في كتاب الله ، والمكذب بقدرة الله ، والتارك لسنتي ، والمستحل من عترتي ماحرم الله ، والمتسلط بالجبروت ليذل من اعزه الله ، والمستأثر بفيء المسلمين المستحل له .» . إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

واللعن : الطرد والابعاد من رحمة الله تعالى ، فان صدر من الله كان على وجه الحكم ، وإن صدر من الناس كان على وجه الدعاء .

(٢) يدل على كون السب من الكبائر ، تصريح رسول الله «ص» بكونه فسوقاً .

فقال: أوصني. فكان فيما أوصاه أن قال: «لا تسبّوا الناس فتكتسبوا العداوة بينهم.»[1].

وقال (ع): قال رسول الله (ص): «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه.»[2].

وقال أبو عبد الله (ع): قال رسول الله (ص): «سبّاب المؤمن كالمشرف على الهلكة.»[3].

وقد مرّ عن أبي الحسن (ع): انّ البادي من المتسابّين أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم.

وقال لقمان (ع) لابنه: «يا بني: لا تشتم الناس فتكون أنت الذي شتمت أبويك.».

وقال رسول الله (ص): «المؤمن ليس بلعّان.»[4].

وعن أبي جعفر (ع): خطب رسول الله (ص) الناس فقال: «ألا أخبركم بشراركم؟» قالوا: بلى يارسول الله. قال: «الذي يمنع رفده، ويضرب عبده، ويتردد وحده» فظنوا أن الله لم يخلق خلقاً هو شر من ذلك، ثم قال: «ألا اخبركم بمن هو شر من ذلك؟» قالوا: بلى يارسول الله. قال: «المتفحش اللعّان الذي إذا ذُكر عنده المؤمنون لعنهم وإذا ذكروه لعنوه.»[5].

---

(١) الكافي.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) جامع السعادات.
(٥) المصدر نفسه.

وقال أبو جعفر (ع): « إنّ اللعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت بينه وبين الذي يلعن ، فان وجدت مساغاً وإلاّ عادت إلى صاحبها وكان أحق بها ، فاحذروا ان تلعنوا مؤمناً فيحل بكم . »[1] .

وقال (ع) في قول الله عز وجل (وقولوا للناس حُسناً) :«قولوا للناس أحسن ماتحبّون أن يقال لكم فان الله يبغض اللعّان السبّاب الطعّان على المؤمنين الفاحش المتفحش السائل الملحف ، ويحب الحليم العفيف المتعفف . »[2] .

وقال (ع) : «ماشهد رجل على رجل بكفر قطّ الاّ باء به أحدهما ، إن كان شهد به على كافر صدق ، وإن كان مؤمناً رجع الكفر عليه ، فإيّاكم والطعنَ على المؤمنين . »[3] .

وقال (ع) : « ما من إنسان يطعن في عين مؤمن الاّ مات بشرّ ميتة ، وكان قمناً[4] أن لا يرجع إلى خير . »[5] .

وقال أبو عبدالله (ع) : « إن الله عز وجل خلق المؤمنين من نور عظمته وجلال كبريائه فمن طعن عليهم أو ردّ عليهم فقد ردّ على الله في عرشه وليس من الله في شيء وانّما هو شرك الشيطان . »[6] .

وقال (ع) : « إذا قال الرجل لأخيه المؤمن افّ خرج من

---

(١) قرب الاسناد .
(٢) مجمع البيان .
(٣) الكافي .
(٤) أي : خليقاً وجديراً .
(٥) الكافي .
(٦) الوسائل .

ولايته ،وإذا قال أنت عدوّي كفر أحدهما، ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمر على أخيه المؤمن سوءاً . »[1] .

وقد قضى الشرع الشريف بأنّ من قال لغيره كلاماً فيه تحقير له واستهانة به من غير موجب ، يعزّر بالضرب بما يراه الإمام أو نائبه .

---

(١) الكافي . وكذلك يحرم تعيير المؤمن وتأنيبه ، والاستخفاف به ، وإذلاله واحتقاره ، وإيذائه ، وإهانته وخذلانه ، وإخافته ، والمعونة عليه ولو بشطر كلمة ، والأحاديث في مثل ذلك كثيرة .

السخرية والاستهزاء

وهو ذكر الغير بما فيه على وجه يضحك الناس.

بحضوره أو بغيبته، فيكون غيبة أيضاً.

وهو من أعظم الجرائم، وأكبر المظالم، ومن أبرز أسباب الفرقة. لهذا نهى الله سبحانه عن أن يسخر إنسان من آخر لفقره ومسكنته، أو لعيب في بدنه، أو غير ذلك، وبيّن أن الإنسان الذي تسخر منه ربّما يكون أفضل منك وأجل منزلةً عند الله تعالى، فقال: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخرْ قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكنَّ خيراً منهنَّ)[1]. وبيّن رسول الله (ص) ما يلاقيه المستهزأ في الدار الآخرة من التعذيب والاستهزاء به، قال (ص): «إن المستهزئين بالناس يُفتح لأحدهم باب من الجنة، فيقال: هلم هلم، فيجيء بكربه وغمه، فاذا أتى أغلق دونه، ثم يُفتح له باب آخر فيقال: هلم هلم. فيجيء بكربه وغمه، فاذا أتى أغلق دونه، فما يزال كذلك، حتى يُفتح له الباب فيقال له: هلم هلم، فما يأتيه.»[2].

وقال ابن عباس (رض) في قوله تعالى: (يا ويلتنا ما لِهذا الكتابِ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها)[3]: «الصغيرة التبسّم

---

(١) من الآية ١١ من سورة الحجرات.

(٢) جامع السعادات.

(٣) من الآية ٥٠ من سورة الكهف.

بالاستهزاء بالمؤمن ، والكبيرة القهقهة بذلك . »[1] .

ورُوي عن علي زين العابدين (ع) : أن من الذنوب التي تنزل النقم ، الاستهزاء بالناس والسخرية منهم .

وهذا هو جزء آخر من آداب ديننا القيم ،التي لا ريب أنها تصون أخلاق المجتمع من التفسخ والانهيار ، وتضمن له السعادة والرقي :

وإنما الأمم الأخلاق مابقيت فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(١) جامع السعادات .

تزكية النفس

أي مدحها والاثناء عليها، بدافع الرياء، أو العجب، أو التعريض بالغير. وكلٌّ منهي عنه في الشريعة المقدسة.

(ألم تَرَ إلى الذين يُزَكّون أنفسهم بل الله يُزكّي مَن يشاء) النساء: ٤٨.

(فَلا تُزكوا أنفسكم هو أعلمُ بمن اتقى) النجم: ٣٢.

ويقول أمير المؤمنين (ع): «تزكية المرء لنفسه قبيحة.»[1].

---

(١) جامع السعادات.

الافتخار

أي المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك .

وهل من سبب يدعو المسلم للافتخار على إخوانه وأبناء نوعه ، غير التكبّر المنهي عنه في الشريعة المقدّسة ، والمستقبح عقلاً .

قال أمير المؤمنين (ع) : « ما لابن آدم والفخر : أوّ له نطفة ، وآخره جيفة ، ولا يرزق نفسه ، ولا يدفع حتفه . »[1] .

وقال (ع) : « مسكين ابن آدم : مكتوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقّة ، وتقتله الشرقة ، وتنتنه العرقة . »[2] .

وقال (ع) : « ضع فخرك ، واحطط كبرك ، واذكر قبرك . »[3] .

وقال أبو جعفر (ع) : « عجباً للمختال الفخور وإنما خُلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يُصنع به . »[4] .

وقال الشاعر :

عجبت من معجب بصورته ... وكان من قبل نطفة مذره

وفي غد بعد حسن صورته ... يصير في الأرض جيفة قذره

وهو على عجبه ونخوته ... ما بين جنبيه يحمل العذره[5]

وفي الحقيقة : ان الشرف والفضل إنما هو بالتقوى ، كما قال .

---

(١) نهج البلاغة .

(٢) المصدر السالف .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) جامع السعادات ، للشيخ محمد مهدي النراقي .

(٥) الكنى والألقاب ، للشيخ عباس القمي .

تعالى : (يا أيها النّاسُ إنا خلقنا كم من ذكر وأنثى وجعلنا كم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إنّ أكرمَكم عند الله اتقاكم)[1] ، ومن خطبة لرسول الله (ص) : « أيها الناس : إنّ ربّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد كلّكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي على عجمي فضل إلاّ بالتقوى . » . وقال سلمان المحمّدي (رض) حينما تفاخر قريش عنده : « لكني خُلقت من نطفة قذرة ، ثم أعود جيفة منتنة ، ثم إلى الميزان فإن ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا لئيم »[2] .

وفي حديث آخر عن أبي جعفر (ع) : كان سلمان جالساً مع نفر من قريش في المسجد فأقبلوا ينتسبون ويرفعون في أنسابهم حتى بلغوا سلمان ... فخرج رسول الله (ص) وسلمان يكلمهم ... فقال رسول الله (ص) : يا معشر قريش ، إنّ حسب الرجل دينه ، ومروته خلقه ، وأصله عقله ، قال الله عز وجل (إنا خلقنا كم من ذكرٍ وأنثى ... الآية) ثم قال النبي صلى الله عليه وآله لسلمان : ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلاّ بتقوى الله عز وجل ، وان كانت التقوى لك عليهم فأنت أفضل . »[3] .

وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين (ع) :

لعمرك ما الانسان إلاّ بدينه
فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب
لقد رفع الإسلامُ سلمانَ فارس
وقد هجن الشركُ الشريفَ أبا لهب[4]

---

(١) من الآية ١٣ من سورة الحجرات .
(٢) جامع السعادات .
(٣) الكافي .
(٤) تاريخ ابن عساكر .

ولا تصعّر خدّك للنـاس ولا تمش في الأرض مرحاً إنّ الله لايحبُّ كلَّ مختالٍ فخور) لقمان : ١٨ .

* * *

وهناك آفات أخرى لم نتعرض لذكرها في هذا المختصر، كالمراء، والفحش، والخوض في الباطل، والتكلم فيما لا يعني، وما إلى ذلك من عوارض اللسان.

وبالنظر لما تحدثه آفات اللسان من أخطار أقلها انفصام عرى الإلفة والأخوّة في المجتمع الإسلامي، وجب على المسلمين كافةً اجتنابها والابتعاد عنها، تركاً لنواهيه تعالى، وحفاظاً على الأخوّة والوحدة الاسلامية[1] .

---

(١) في الوقت الذي ينهى الاسلام عن آفات اللسان وجميع اسباب الفرقة، يأمر بالاخاء والتحابب والتعاون وغير ذلك من اسباب التآلف، وان يكون المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا. قال الله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) الحجرات : ١٠، فجعل سبحانه المسلمين ـ في هذه الآية ـ إخوة يلزم نصرة بعضهم بعضاً، واتى بأداة الحصر وهي (إنما) تأكيدا للاخوة فيما بينهم، فالمسلم اخو المسلم ولو كان احدهما في المشرق والآخر في المغرب، ثم امر بالاصلاح بينهم فيما لو تخاصموا وتنازعوا، فان ذلك مقتضى الأخوة.

وهناك آيات واحاديث كثيرة نكتفي بالاشارة إلى قسم منها:

قال الله سبحانه:

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) آل عمران : ١٠٣ .

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) الأنفال : ٤٧ .

وقال رسول الله «ص» :

« إياكم والظن فان الظن اكذب الكذوب، وكونوا اخوانا في الله كما امركم الله، =

* * *

= لا تنافروا ، ولا تفاحشوا ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، ولا تنازعوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا تحاسدوا فان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب اليابس . »(١) .

« المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كروب يوم القيامة . ومن ستر مسلما يستره الله يوم القيامة . »(٢) .

« للمسلم على اخيه ثلاثون حقا لا براءة له منها الا بالأداء او العفو ، يغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويستر عورته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويعود مرضته ، ويشهد ميتته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافىء صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويحفظ حليلته(٣) ، ويقضي حاجته ، ويشفع مسألته ، ويسمت عطسته(٤) ، ويرشد ضالته ، ويرد سلامه ، ويطيب كلامه ، ويبر انعامه ، ويصدق اقسامه ، ويوالي وليه ، ويعادي عدوه ، وينصره ظالما ومظلوما : فأما نصرته ظالما فيرده عن ظلمه ، واما نصرته مظلوما فيعينه على اخذ حقه ، ولا يسلمه ، ولا يخذله ، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه » ثم قال «ص» : « إن احدكم ليدع من حقوق اخيه شيئا فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه . »(٥) .

وفي وصيته «ص» لأمير المؤمنين «ع» : «سر ميلا عد مريضا ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة اميال اجب دعوة ، سر اربعة اميال زر اخاً في الله ، سر خمسة اميال اجب دعوة الملهوف ، سر ستة اميال انصر المظلوم ، وعليك بالاستغفار . »(٦) .

وقال ابو عبدالله الصادق «ع» :

« المؤمن اخو المؤمن لا يظلمه ولا يخذله ولا يغشه ولا يغتابه ولا يخونه ولا = يكذبه . »(٧) .

---

(١) قرب الاسناد .
(٢) مجمع البيان ، عن البخاري ومسلم في صحيحيهما .
(٣) الحليلة : الزوجة .
(٤) تسمية العاطس : الدعاء له .
(٥) الوسائل .
(٦) مجمع البيان .
(٧) مشكاة الأنوار .

* * *

= «واتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين ... الخ »(١) .

« تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا اخوة بررة كما امركم الله عز وجل »(٢) .

« يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل ، والتعاون على التعاطف ، والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على بعض ، حتى تكونوا كما امركم الله عز وجل ـ رحماء بينهم ـ متراحمين ، مغتمين لما غاب عنكم من امرهم ، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله . »(٣) .

وهذه نبذة يسيرة من انظمة الاسلام الاجتماعية ، وقوانينه الانسانية الخالدة . نظرنا اليها نظرة خاطفة ، لئلا نخرج عن موضوع آفات اللسان .

---

(١) الكافي ، للشيخ الكليني .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .

ما ورد في حفظ اللسان

إن عدد الاسلام جرائم اللسان واحدة واحدة ، مشدّداً النهي عن ارتكابها ، كما مرّ علينا ، فانه لم يقتصر على ذلك فحسب ، بل جاء بقاعدة عامة تمنع من الوقوع فيها ، على اختلافها و كثرتها ، فأمر بحفظ اللسان وأكّد على ذلك :

قال رسول الله (ص) : « من وُقي شرّ قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي . »[1] ، والقبقب : البطن، والذبذب : الفرج ، واللقلق :اللسان.

وقال (ص) : « من يتكفّل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفّل له بالجنّة . »[2] .

وقال (ص) : « بلاء الانسان من اللسان . »[3] .

وقال (ص) : « البلاء موكل بالنطق . »[4] .

وقال (ص) : « ما أعطي العبد شراً من طلاقة اللسان . »[5] .

وجاءه رجل فقال : يا رسول الله أوصني ، فقال (ص) : «احفظ لسانك » قال : يا رسول الله أوصني ، قال : « احفظ لسانك » قال : يا رسول الله أوصني ، قال : « احفظ لسانك ، ويحك وهل يكبّ الناس على مناخرهم في النار الا حصائد ألسنتهم .»[6] .

---

(١) تنبيه الخواطر .
(٢) جامع السعادات .
(٣) جامع الأخبار .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) العقد الفريد .
(٦) الكافي .

وقال (ص) : «إن كان في شيء شؤم ففي اللسان.»[١].

وقال (ص) : «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنّة رجلٌ لا يأمن جاره بوائقه.»[٢].

وقال (ص) : «إنّ أحدكم ليتكلم بالكلمة لايقولها الاّ ليضحك بها أهل المجلس فيهوى بها أبعد ممّا بين السماء والأرض، وانه ليزلّ عن لسانه أكثر مما يزلّ عن قدمه.»[٣].

وقال بعضهم : يا رسول الله صلى الله عليك، اخبرني عن الاسلام بأمر لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال : «قل : آمنت بالله، ثم استقم» قلت : فما اتقي؟ فأومى (ص) بيده إلى لسانه[٤].

وقال عقبة بن عامر : قلت : يا رسول الله صلى الله عليك، ما النجاة؟ قال : «املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك.»[٥].

وجاءه أعرابي فقال : دلني على عمل أدخل الجنة، قال (ص) : «اطعم الجائع، واسق الظمآن، وامر بالمعروف، وانه عن المنكر، فإن لم تطق فكفّ لسانك الاّ من خير فانك بذلك تغلب الشيطان.»[٦].

وقال (ص) في خبر بلال بن الحارث المزني : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يدري انها بلغت منه حيث بلغت فيوجب الله له بها سخطه

---

(١) الكافي.
(٢) تنبيه الخواطر.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) المصدر نفسه.

إلى يوم القيامة . » قال بعضهم : فلقد كنت أريد أن أتكلم بالكلام فيمنعني قول بلال[1] .

وقال (ص) : « سلامة الإنسان في حفظ اللسان . »[2] .

وقال (ص) : « نجاة المؤمن في حفظ لسانه . »[3] .

وقال (ص) : « من حفظ لسانه فكأنما عمل بالقرآن . »[4] .

وقال (ص) : « تقبّلوا لي ست خصال ، أتقبّل لكم الجنة : إذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا تخلفوا ، وإذا اؤتمنتم فلا تخونوا ، وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا أيديكم وألسنتكم . »[5] .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « رأيت جميع الاخلاء، فلم أر خليلاً أفضل من حفظ اللسان . »[6] .

وقال (ع) : « من حفظ لسانه ستر الله عورته . »[7] .

وقال علي بن الحسين (ع) : « إن لسان ابن آدم يُشرف على جميع جوارحه كلّ صباح فيقول : كيف أصبحتم ؟ فيقولون : بخير إن تركتنا ، ويقولون : اللهَ اللهَ فينا ، ويناشدونه ويقولون : إنّما نُثاب ونُعاقب بك . »[8] .

---

(١) تنبيه الخواطر .
(٢) جامع الأخبار .
(٣) الكافي .
(٤) موعظة السالكين ، السيد محمد علي العظيمي .
(٥) روضة الواعظين ، الشيخ أبي علي الفتال .
(٦) موعظة السالكين .
(٧) الوسائل .
(٨) الكافي .

وقال أبو عبدالله الصادق (ع) : « مامن يوم الا وكلّ عضو من أعضاء الجسد يكفر اللسان يقول: نشدتك الله ان نعذّب فيك. »[1].

وقال (ع) : « معاشر الشيعة : كونوا لنا زيناً ، ولا تكونوا علينا شيناً ، قولوا للنّاس حسناً ، واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضول وقبيح القول . »[2].

وقال (ع) في قول الله عزّ وجلّ (ألَمْ تَرَ إلى الّذين قيل لهم كفّوا أيديَكُمْ)[3] : يعني : كفّوا ألسنتكم[4] . ».

وقال (ع) لمولى له يقال له سالم بعد أن وضع يده على شفتيه : « يا سالم : احفظ لسانك تسلم ولا تحمل الناس على رقابنا . »[5].

وقال (ع) : « في حكمة آل داود : على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه . »[6].

وقال أبو الحسن الرضا (ع) لرجل قال له أوصني : « احفظ لسانك تعزّ ، ولا تمكّن الناس من قيادك فتذلّ رقبتك . »[7].

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة .

وجاء : أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا ، فقال أحدهما لصاحبه : كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هي أكثر من أن تحصر ، وقد وجدت خصلة إن استعملها الإنسان سترت العيوب كلّها ، قال : وما هي ؟ قال : حفظ اللسان[8] .

---

(١) الكافي .
(٢) الوسائل .
(٣) من الآية ٧٦ من سورة النساء .
(٤) الكافي .
(٥) المصدر نفسه .
(٦) الكافي .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) المستطرف .

ما ورد في الصمت

وأكثر من هـذا فقد ذهبت جملة من النصوص إلى الحث على الصمت ، كوسيلة للوقاية من الوقوع في أخطار عثرات اللسان ، أو للكف عن الكلام الفارغ :

قال رسول الله (ص) : « من صمت نجا . »[1] .

وقال (ص) : « من سرّه أن يسلم فليلزم الصمت . »[2] .

وقال (ص) : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت . »[3] .

وقال (ص): «من عرف الله منع فاه من الكلام... الحديث»[4] .

وقال (ص) : « امسك لسانك فانّها صدقة تصدق بها على نفسك » ثمّ قال : « ولا يعرف عبدٌ حقيقة الإيمان حتّى يخزن[5] من لسانه . »[6] .

وقال (ص) : « لا يتقي العبد حتى يخزن من لسانه . »[7] .

وقال (ص) : « من خَزَنَ لسانه ستر الله عورته... الحديث »[8] .

---

(١) الوسائل .
(٢) تنبيه الخواطر .
(٣) المصدر السالف .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) خزن اللسان : منعه الكلام .
(٦) الكافي .
(٧) تنبيه الخواطر .
(٨) المصدر نفسه .

وقال (ص) : « الصمت حُكم وقليل فاعله . »[1] .

وقال (ص) : « إذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فانه يلقى الحكمة . »[2] .

وقال (ص) لأبي ذر (رض) : « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان؟ » قال :بلى يا رسول الله صلى الله عليك .قال: « هو الصمت ، وحسن الخلق ، وترك ما لا يعنيك . »[3]

وقال (ص) : « طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه ، وأنفق الفضل من ماله . »[4] .

وقال (ص) لرجل أتاه : « ألا أدلّك على أمر يُدخلك الله به الجنّة ؟ » قال : بلى يا رسول الله . قال : « أنل مما أنالك الله » قال : فان كنتُ أحوج ممن أنيله. قال : « فانصر المظلوم» قال : فان كنتُ أضعف ممن أنصره . قال : «فاصنع للأخرق » يعني : أشر عليه .قال : فان كنتُ أخرق ممّن أصنع له . قال: « فاصمت لسانك إلاّ من خير ، أما يسرّك أن يكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلى الجنّة ؟ »[5] .

---

(١) تنبيه الخواطر ، ومثله عن لقمان «ع» ، جاء في « العقد الفريد » : كان لقمان الحكيم يجلس إلى داود « ص » وكان عبداً أسود ، فوجده وهو يعمل درعاً من حديد ، فعجب منه ولم ير درعاً قبل ذلك ، فلم يسأله لقمان عما يعمل ولم يخبره داود حتى تمت الدرع بعد سنة ، فقاسها داود على نفسه ، وقال : زرد طابا ليوم فرايا ، تفسيره : درع حصينة ليوم قتال ، فقال لقمان : الصمت حكم وقليل فاعله » . والحكم ، بالضم : الحكمة .

(٢) تنبيه الخواطر .

(٣) المصدر السالف .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) الكافي .

وقال (ص) : « من لم يحتسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وحضر عذابه . »[1] .

وقال (ص) : « من رأى موضع كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه . »[2] .

وقال (ص) في وصيته لأبي ذر (رض) : « والسكوت خير من إملاء الشرّ . يا أبا ذر : اترك فضول الكلام ، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك ... يا أبا ذر : إنه ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان . يا أبا ذر : إنّ الله عند لسان كل قائل فليتقِ اللهَ امرؤ وليعلم ما يقول . »[3] .

وقال (ص) : « راحة الإنسان في حبس اللسان . »[4] .

وقال (ص) : « حبس اللسان سلامة الإنسان . »[5] .

وعن عمرو بن دينار : تكلّم رجل عند النبي (ص) فأكثر ، فقال له (ص) : « كم دون لسانك من حجاب ؟ » فقال : شفتاي وأسناني . قال (ص) : « أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك ؟ » .

وقال أمير المؤمنين (ع) في وصيته لولده الحسن (ع) : «وتلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك ما فات من منطقك ، وحفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاء . »[6] .

---

(١) الكافي .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) الوسائل .
(٤) جامع الأخبار .
(٥) المصدر السالف .
(٦) نهج البلاغة .

وقال (ع) في وصيته لمحمد بن الحنفية (رض) : « وما خلق الله عزّ وجلّ شيئاً أحسن من الكلام ولا أقبح منه ، بالكلام ابيضت الوجوه وبالكلام اسودّت الوجوه . واعلم انّ الكلام في وَثاقك ما لم تتكلّم به ، فاذا تكلّمت به صرت في وَثاقه ، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك ، فانّ اللسان كلب عقور ، فإن أنت خلّيته عَقَر ، وربّ كلمةٍ سلبت نعمة . ومن سيّب عذاره قاده إلى كل كريهة وفضيحة ثم لم يخلص من دهره الاّ على مقت من الله وذمّ من الناس . »[1] .

وقال (ع) : « من كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قلّ حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار . »[2] .

وقال (ع) : « ما شيء أحق بطول الحبس من اللسان . »[3] .

وقال (ع) : « إذا تَمّ العقل نقَص الكلام . »[4] .

ومرّ (ع) برجل يتكلم بفضول الكلام ، فوقف عليه ثم قال : « يا هذا : إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك ، فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك . »[5] .

وقال أبو جعفر (ع) : « إنما شيعتنا الخرس . »[6] .

---

(١) الوسائل .
(٢) نهج البلاغة .
(٣) مشكاة الأنوار .
(٤) نهج البلاغة .
(٥) الوسائل .
(٦) الكافي .

وقال (ع) : كان أبو ذر - رحمه الله - يقول : « يا مبتغي العلم : إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك . »[1] .

وقال أبو عبدالله (ع) : « لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً ما دام ساكتاً ، فإذا تكلم كُتب محسناً أو مسيئاً . »[2] .

وقال (ع) في وصيته لأصحابه : «إياكم أن تذلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والإثم والعدوان ، فإنكم إن كففتم ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه كان ذلك خيراً لكم من أن تذلقوا ألسنتكم به، فان ذلق اللسان فيما يكره الله وما نهى عنه مرداة للعبد عند الله ، ومقت من الله ، وصم وعمي يورثه الله إياه يوم القيامة ... الحديث »[3] .

وقال (ع) : « الصمت كنز وافر ، وزين الحليم ، وستر الجاهل . »[4] .

وقال (ع) : « الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق وجف القلم به ، وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة ، وفيه رضا الرب ، وتخفيف الحساب ، والصون من الخطايا والزلل ، وقد جعله الله ستراً على الجاهل ، وزيناً للعالم ، ومعه عزل الهوى ، ورياضة النفس ، وحلاوة العبادة ، وزوال قسوة القلب ، والعفاف والمُرُوَّة والظرف ، فاغلق باب لسانك عمّا لك منه بدّ ، لاسيما إذا لم تجد أهلاً للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله . »[5] .

---

(1) الكافي .
(2) المصدر نفسه .
(3) الوسائل .
(4) المصدر نفسه .
(5) جامع السعادات ، للشيخ محمد مهدي النراقي .

وقال (ع) : سمعت أبي (ع) يقول : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه . »[1] .

وقال (ع) : كان المسيح (ع) يقول : « لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فانّ الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون . »[2] .

وقال (ع) : قال لقمان لابنه : « إن كنت زعمت انّ الكلام من فضّة فانّ السكوت من ذهب . »[3] .

وعنه (ع) ، عن أبيه (ع) : انّ داود (ع) قال لسليمان (ع) : « يا بني : إيّاك وكثرة الضحك فان كثرة الضحك تترك العبد فقيراً يوم القيامة . يا بني : عليك بطول الصمت الاّ عن خير فان الندامة على طول الصمت مرة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرّات ، يا بني : لو كان الكلام من فضّة كان ينبغي للصمت أن يكون من ذهب . »[4] .

وقال أبو الحسن الرضا (ع) : « من علامات الفقه : الحلم ، والعلم ، والصمت ، إن الصمت باب من أبواب الحكمة ، إن الصمت يكسب المحبة ، إنه دليل على كل خير . »[5] .

وقال (ع) : « ما أحسن الصمت لا من عي ، والمهذار له سقطات . » .

---

(١) الوسائل .
(٢) الكافي .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) قرب الاسناد ، للحميري .
(٥) الكافي .

وقال (ع) : « كان الرجل في بني اسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشر سنين . »[1] .

وقال عيسى بن مريم (ع) : « العبادة عشرة أجزاء ، تسعة منها في الصمت ، وجزء واحد في الفرار من الناس . »[2] .

وقال لقمان (ع) لولده : « يا بني : إذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك . »[3] .

إلى غير ذلك مما ورد في هذا الباب .

إذن، ينبغي للانسان أن يقيد لسانه بلجام الشرع فلا يطلقه إلاّ بعد الرويّة والتدبّر .

وبعبارة أخرى ، ليس المراد من ذلك كله ، أن يكون الإنسان صامتاً دائماً ، كالجماد الذي لا يضر ولا ينفع ، أي حتى عن إحقاق الحق وإبطال الباطل وغيرهما مما فيه النفع والإصلاح ، فان التكلم في ذلك أرجح من الصمت، بل قد يجب في بعض الحالات[4] ،

---

(١) الكافي . (٢) موعظة السالكين .

(٣) المستطرف .

(٤) إعلم أن النطق بالخير وما يرضي الله سبحانه ، كالذكر ، والارشاد إلى الأحكام الاسلامية والمعارف المحمدية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاصلاح بين الناس ، خير من الصمت . يقول رسول الله «ص» : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله . »(*) . ويقول «ص» في وصيته لأبي ذر «رض» : « يا أبا ذر : الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارين في سبيل الله ، وإملاء الخير خير من السكوت . »(**) . ويقول «ص» : « رحم الله عبداً قال خيراً فغنم ، أو سكت عن سوء فسلم . » . ومن وصايا أمير المؤمنين «ع» : « ايها الناس: إنه لاخير في الصمت عن الحكم (***) كما انه لا خير في القول بالجهل . » . وسئل=

(*) موعظة السالكين .

(**) الوسائل .

(***) الحكم بالضم : الحكمة .

وإنما المراد أن لا يتسرع إلى التكلم بكل ما يجول في خاطره من الأمور الزائدة والكلمات التافهة، فان ذلك قد يجره إلى الويل، ويوقعه في الدمار، ولنعم ما قيل في هذا المعنى :

= علي بن الحسين «ع» عن الكلام والسكوت ايهما افضل؟ فقال «ع» : «لكل واحد منهما آفات، فاذا سلما من الآفات فالكلام افضل من السكوت» قيل : وكيف ذاك يابن رسول الله؟ فقال : «لأن الله عز وجل مابعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا وقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك لتصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت.»(١). ويقول ابو جعفر الباقر «ع» : «المجالس ثلاثة: سالم، وغانم، وشاجب(٢)، فالسالم : الصامت، والغانم : الذاكر لله، والشاجب : الذي يلفظ ويقع في الناس.»(٣). وقال ابو عبدالله «ع» في رسالته إلى اصحابه : «فاتقوا الله وكفوا السنتكم إلا من خير» إلى ان قال : «وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من امر آخرتكم، ويأجركم عليه، واكثروا من التهليل والتقديس والتسبيح والثناء على الله والتضرع اليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه احد فاشغلوا السنتكم بذلك عما نهى الله عنه من اقاويل الباطل التي تعقب اهلها خلوداً في النار من مات عليها ولم يتب إلى الله ولم ينزع عنها.»(٤). ويقول «ع» : «كلام في حق خير من سكوت على باطل.»(٥).

والنصوص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً، وسيمر عليك ـ عند موضوع العزلة ـ شطر منها.

وبالجملة : فالكلام موضوع للأحكام الخمسة، حسب اختلاف الموارد والمقامات. فهو إما واجب (وهو ما يثاب الانسان على فعله مع قصد التقرب إلى الله تعالى ويعاقب على تركه) وذلك فيما لو كان الكلام راجحاً مع المنع من الترك، كما في صورتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكلام مع حصول شرائطها، ولا سيما عند ظهور البدع، فقد ورد في الحديث : «إذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والناس والملائكة اجمعين.». =

(١) الوسائل.
(٢) اي : هالك.
(٣) مشكاة الأنوار، للشيخ ابي الفضل الطبرسي.
(٤) الوسائل.
(٥) المصدر نفسه.

تكلم وسدد ما استطعت وإنما كلامك حيٌّ والسكوت جماد
فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السديد سداد[1]

ومن هنا قال أمير المؤمنين (ع) : « وليخزن الرجل لسانه فإن هذا اللسان جموح بصاحبه، والله ما أرى عبداً يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه ، وإن لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإن قلب المنافق من وراء لسانه ، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره في نفسه : فإن كان خيراً أبداه ، وإن كان شراً واراه ، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه : لا يدري ماذا له ، وماذا عليه ! ولقد قال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » فمن استطاع منكم أن يلقى الله وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم، سليم اللسان من أعراضهم ، فليفعل . »[2].

= أو مستحب (وهو ما يثاب الانسان على فعله مع قصد التقرب إلى الله تعالى ولا يعاقب على تركه) وذلك فيما لو كان الكلام راجحاً مع عدم المنع من الترك ، كما في الوعظ، والاصلاح ، والذكر .

أو محرم (وهو ما يعاقب الانسان على فعله ويثاب على تركه مع قصد التقرب إلى الله تعالى) وذلك فيما لو كان الكلام مرجوحاً مع المنع عنه، كالكذب، والغيبة ، والنميمة .

أو مكروه (وهو ما يثاب الانسان على تركه مع قصد التقرب الى الله تعالى ولا يعاقب على فعله) وذلك فيما لو كان الكلام مرجوحاً مع عدم تعين تركه ، كالكلام فيما لا يعني .

أو مباح (وهو ما لا يثاب الانسان ولا يعاقب لا على فعله ولا على تركه) وذلك فيما لو كان الكلام متساوي الطرفين ، ولكن السكوت عنه افضل ، للنصوص الكثيرة الآمرة بالصمت فيما لا مصلحة فيه .

(١) روضة الواعظين .

(٢) نهج البلاغة .

وذلك لأن المؤمن يخاف الله سبحانه في جميع الحالات، فلا يتكلم بشيء حتى يشاور فكره، ويعرف رضا الله فيه، ومن أجل هذا قيل: من راقب الله في خطرات قلبه، عصمه الله في حركات جوارحه[1].

على العكس من المنافق، فهو حيث لا يخشى الله في قلبه، ولا يهمه الخروج على التعاليم الإسلامية، يتكلم بكل ما وافق أغراضه الخاصة، وغاياته الدنيئة، دون مراجعة فكره، ومشاورة عقله.

وللشعراء والحكماء أقوال كثيرة تحث على الصمت وكف اللسان:

فمن ذلك قول الشاعر:

الصمت زينٌ والسكوت سلامةٌ
فإذا نطقتَ فلا تكن مهذارا
فلئن ندمتَ على سكوتك مرةً
فلتندمن على الكلام مرارا[2]

ويقول الحسن بن هاني:

خل جنبيك لرام · وامض عني بسلام
مت بداء الصمت خيرٌ · لك من داء الكلام
رب لفظ ساق آجا · لَ فِئَامٍ وفِئَام[3]
إنما السالم من أل · جم فاه بلجام[4]

---

(١) تنبيه الخواطر.
(٢) معادن الجواهر.
(٣) الفئام: الجماعة من الناس
(٤) العقد الفريد.

ويقول آخر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى   إن البلاء موكل بالمنطق[1]

ويقول آخر :

صن اللسان وحاذر أن تفوه به
لغواً وشر عباد الله لاغيها
ومن على نفسه يسطو بلا حذر
لسانه فهو في الاهوان ملقيها

ويقول صالح بن عبدالقدوس :

وزن الكلام إذا نطقت فانما   يبدي عقول ذوي العقول المنطق

ويقول بعضهم في أرجوزة له :

والأدب النافع حسن الصمت
وفي كثير القول بعض المقت
فكن لحسن الصمت ما حييتا
مقارفاً تحمد ما بقيتا
وإن بدت بين اناس مسأله
معروفة في العلم أو مفتعله
فلا تكن إلى الجواب سابقا
حتى ترى غيرك فيها ناطقا
فكم رأيت من عجول سابق
من غير فهم بالخطاء ناطق

---

(١) المستطرف .

أزرى بـه ذلك في المجالس
عند ذوي الألباب والتنافس
والصمت فاعلم بك حق أزين
إن لم يكن عندك علم متقن
وقل إذا اعياك ذاك الأمر
مالي بما تسأل عنه خبر
فذاك شطر العلم عند العلما
كذاك ما زالت تقول الحكما
إياك والعجبَ بفضل رأيكا
واحذر جواب القول مع خطائكا
كم من جوابٍ أعقب الندامه
فاغتنم الصمت مع السلامه
ولو يكون القول في القياس
من فضة بيضاء عند الناس
اذن لكان الصمت من عين الذهب
فافهم هداك اللهُ آدابَ الطلب [1]

وقال بعضهم : مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك ولحقك شره [2] .

وقيل : لسانك حصانك إن صنته صانك وإن أطلقته أهانك .

ولما خرج يونس (ع) من بطن الحوت طال صمته ، فقيل له :

---

(١) الكنى والالقاب .
(٢) المستطرف .

ألا تتكلم ؟ فقال : « الكلام صيرني في بطن الحوت »[1] .

وقال عطاء بن أبي رباح : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى ، وسنة رسول الله (ص) ، أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر ، أو أن تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منهـا ، أتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ؟[2] .

وقيل : اعقل لسانك الا عن عظة شافية ، يكتب لك أجرها ، أو حكمة بالغة يُحمد عنك نشرها .

وقيل لرجل : بم ساد كم الأحنف ، فوالله ما كان بأكبر كم سناً ، ولا بأكثر كم مالاً ؟ فقال : بقوة سلطانه على لسانه[3] .

وقيل : اجتمع أربعـة ملوك فتكلموا ، فقـال ملك الفرس : ماندمت على ما لم أقل مرة ، وندمت على ماقلت مراراً . وقال قيصر : أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ماقلت . وقال ملك الصين : مالم أتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتني . وقال ملك الهند : العجب ممن يتكلم بكلمة إن رُفعت ضرت وإن لم تُرفع لم تنفع[4] .

وكان بهرام جالساً ذات ليلة تحت شجرة ، فسمع منها صوت طائر ، فرماه فأصابه ، فقال : ما أحسن حفظ اللسان بالطائر والانسان ، لو حفظ هذا لسانه ما هلك[5] .

---

(١) المستطرف .
(٢) احياء العلوم ، للغزالي .
(٣) المستطرف .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) المصدر نفسه .

وسمع عبدالله بن الأهتم رجلاً يتكلم فيخطىء. فقال : بكلامك رزق الصمت المحبة[1] .

ومن كلام الحكماء : من نطق في غير خير فقد لغا ...[2]

وقال أعرابي : رب منطق صدع جمعا، وسكوت شعب صدعا[3] .

وقالوا : المكثار كحاطب ليل، وجالب خيل، ربما نهشته الحية، أو لسعته العقرب في احتطابه ليلاً[4] .

وقيل : من افرط في المقال زل ، ومن استخف بالرجال ذل .

إلى غير ذلك مما قيل في مدح الصمت، مما لا يتسع لذكره المقام .

---

(١) العقد الفريد .

(٢) المستطرف .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) العقد الفريد .

العـزلة

ترجح العزلة والتفرّد للتخلّص من كثرة الكلام وفضوله، والنجاة من آفات اللسان، والوقاية من الخوض فيما لا يعني، والهرب من الإستماع إلى ما يحرم استماعه، وللتفرّغ لذكر الله سبحانه..

ولكن: لمن لايقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

---

(١) لايخفى ان ترجيح العزلة عن الناس إنما هو للابتعاد عن التأثر بهم والاقتداء بأعمالهم المنكرة، أو عند عدم القدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما بينا، وهذا مافعله إمامنا الصادق (ع) في خبر سفيان الثوري، ويؤيده مارواه في (الكافي) باسناده عنه (ع) قال: «لا ينبغي للمؤمن ان يجلس مجلساً يعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره.».

أما لو علم عدم التأثر وكان قادراً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رجحت او وجبت المخالطة معهم لاصلاحهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطها، وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من ام الفرائض، واعظم الواجبات الدينية، قال الله تعالى: (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) آل عمران: ١٠٤. (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ...) آل عمران: ١١٠. وورد عن رسول الله «ص» واهل البيت «ع» في ذلك مايقصم الظهور: قال «ص»: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم.».

كما سيمر عليك استحباب مجالسة اهل الدين، وذوي التقى والصلاح. لذا يقول رسول الله «ص» في وصيته لأبي ذر «رض»: «الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء»(*). قال الشاعر:

وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده
وجليس الصدق خير من جلوس المرء وحده

ويقول موسى بن جعفر «ع»: «إياك ومخالطة الناس والأنس بهم، إلا أن تجد منهم عاقلا ومأموناً فانس به، واهرب من سائرهم كهربك من السباع الضارية.».

(*) الوسائل.

يقول أمير المؤمنين (ع) في خطبة له : « يا أيّها الناس : طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته، واشتغل بطاعة ربّه ،وبكى على خطيئته ، فكان من نفسه في شغل، والناس منه في راحة . »[1] .

وقال الثوري لأبي عبدالله الصادق (ع) : مالي أراك قداعتزلت الناس ؟ قال (ع) : ياسفيان : فسد الزمان، وتغيّر الاخوان وتقلبت الأعيان ، فرأيت الانفراد أسكن للفؤاد ، معك شيء تكتب ؟ قلت : نعم . فقال (ع) اكتب :

ذهب الوفاء ذهاب أمس الذاهب
والناس بين مخاتـل ومـوارب
يفشون بينهم المـودّة والصفا
وقلوبهـم محشـوّة بعقـارب

قلت : زدني يا ابن رسول الله . قال (ع) : نعم ، اكتب :

لا تجـزعن لوحـدة وتفـرد
ومن التفرد في زمانـك فازدد
ذهب الاخاء فليس ثمّ أخـوة
إلا التملـق باللسان وباليـد
فاذا نظرت جميع مـا بقلوبهم
أبصرت ثمّ نقيع سم الأسود[2]

(١) نهج البلاغة .
(٢) موعظة السالكين .

وقال عيسى بن مريم (ع) : « اخزن لسانك لعمارة قلبك ، وليسعك بيتك ، واحذر من الرياء وفضول معاشك ، واستح من ربك ، وابك على خطيئتك ، وفرّ من الناس فرارك من الأسد والأفعى ، فانهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء ، ثم الق الله متى شئت . »[1] .

إلى غير ذلك مما ورد في مدح العزلة والانفراد ، الأمر الذي يدل على أهمية حفظ اللسان في الوصول إلى النعيم الدائم ، والسعادة الأبدية ، ولقد أبدع الشاعر بقوله :

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً
سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا
لكسب العلم أو إصلاح حال[2]

---

(١) جامع السعادات .
(٢) معادن الجواهر ، للسيد محسن الأمين .

ذكر الله سبحانه

وكوسيلة أخرى لحفظ اللسان من الوقوع في أخطاره، كان لا بد من تهذيبه، وإطلاقه إلى أشرف الجهات، وأفضل المطالب، ومنها ذكر الله سبحانه.

قال رسول الله (ص): «عليكم بذكر الله فانه شفاء، وإياكم وذكر الناس فانه داء..»[1].

وقال أمير المؤمنين (ع) في حديث الأربعمائة: «وليكن جلّ كلامكم ذكر الله عز وجل»... «باللسان كبّ أهل النار في النار، وباللسان أعطي أهل النور النور، فاحفظوا ألسنتكم واشغلوها بذكر الله عز وجل».

---

(١) تنبيه الخواطر.

مجالسة أهل الدين

للمحيط أثره العظيم في الأخلاق ، وله المحل الأول في التهذيب ، فلم يترك علماء الاجتماع الخوض في موضوعه ، والاهتمام به ، وقد سبقهم الاسلام في ذلك شوطاً بعيداً . ومن ذلك أن رغّب إلى تشجيع المجتمعات الصالحة وارتيادها ، والالتفاف حول أهل التقى والورع ، والعلم والفضيلة ، نظراً لخلو مجالسهم من معصية الله تعالى من أحاديث وأعمال . بالاضافة الى ما في مجالستهم من تهذيب النفس وتطهير القلب ، واكتساب المعارف وفضائل الأخلاق ، والاقتداء بأعمالهم ، والتوجه التام الى الله تعالى والاشتغال بذكره معهم .

فقد مرّ عن رسول الله (ص) في وصيته لأبي ذر (رض) « يا أبا ذر : الجليس الصالح خير من الوحدة . » .

ويقول (ص) في وصيته لابن مسعود (رض) : « فليكن جلساؤك الأبرار ، واخوانك الأتقياء الزّهاد لأن الله تعالى قال في كتابه : الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌ الا المتقين[1] . » .

ويقول (ص) : « إذا وجدتم رياض الجنة فارتعوا فيها » قالوا : وما رياض الجنة يارسول الله ؟ قال : « مجالس الذكر . »[2] .

ويقول (ص) : « النظر في وجوه العلماء عبادة . »[3] ، وسُئل

---

(١) الآية ٦٧ من سورة الزخرف .
(٢) مشكاة الأنوار .
(٣) تنبيه الخواطر .

أبو عبدالله الصادق (ع) عنه فقال : « هو العالم الذي إذا نظرت اليه ذكّرك الآخرة ، ومن كان خلاف ذلك فالنظر اليه فتنة . »[1] .

ويقول لقمان (ع) لابنه : « يابني : اختر المجالس على عينك ، فان رأيت قوماً يذكرون الله جلّ وعزّ فاجلس معهم ، فإن تكن عالماً نفعك علمك ، وإن تكن جاهلاً علّموك ، ولعلّ الله أن يظلّهم برحمة فيعمّك معهم ، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم ، فان تكن عالماً لم ينفعك علمك ، وإن كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً ، ولعلّ الله أن يظلّهم بعقوبة فيعمّك معهم . »[2] .

ويقول (ع) : « جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فانّ الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الأرض بوابل السماء . »[3] .

ويقول أبو عبدالله (ع) : قال رسول الله (ص) : قالت الحواريون لعيسى : يا روح الله ، مَن نجالس؟ قال : « مَن يذكّركم اللهَ رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه ، ويرغّبكم في الآخرة عمله . »[4] .

ويقول (ع) : قال رسول الله (ص) : « مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة . »[5] .

وجاء في « تنبيه الخواطر » : جالسوا أهل الدين وإن لم تقدروا عليهم فانّ الفحش لا يجري في مجالسهم .

---

(١) تنبيه الخواطر .
(٢) الكافي .
(٣) تنبيه الخواطر .
(٤) الكافي .
(٥) المصدر نفسه .

الخاتمة

على المسلم أن يكون صادقاً في دعواه ، مسلماً : بجميع ماللكلمة من معنىً ومدلول، متّبعاً تعاليم الاسلام القيّمة، ومثله العليا ، متحلياً بالأخلاق الفاضلة، حافظاً لسانه من الجنايات والخطايا ، فلا يعتدي به على أحد من المسلمين فانّ من شرائط الاسلام سلامتهم من لسانه ، قال رسول الله (ص) : « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه . »[1] .

وقيل له (ص) : إن « فلانة » تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخُلق تؤذي جيرانها بلسانها ، فقال (ص) : « لا خير فيها هي من أهل النار . »[2] .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أيما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل الله عزّ وجلّ منها صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه وإن صامت نهارها وقامت ليلها وأعتقت الرقاب وحملت على جياد الخيل في سبيل الله وكانت فى أوّل من يرد النار، وكذلك الرجل إذا كان ظالماً لها . »[3] .

وللعلامة النراقي كلامٌ حسنٌ جداً ، ذكره في موضوع الغيبة ، جدير لأن نثبته هنا ، قال قُدّس سرّه : وقد كان السلف لا يرون العبادة في الصوم والصلاة ، بل في الكف عن أعراض الناس ، لأنه كان عندهم أفضل الاعمال ، ويرون خلافه صفة المنافقين ، ويعتقدون

---

(١) الوسائل .
(٢) تنبيه الخواطر .
(٣) المصدر نفسه .

أن الوصول إلى المراتب العالية في الجنة يتوقف على ترك الغيبة ، لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : « من حسنت صلاته و كثرت عياله وقلّ مالـه ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنـة كهاتين . » ... الخ .

وبالختام : على المسلم أن يكون مثالاً للفضيلة والكمال ، ورمزاً للتقى والصلاح ، كما كان المسلمون من قبل . وما أحوجنا في هـذا اليوم إلى أن نحـذو حذوهم ، ونسير على نهجهم ، وننبذ الـنزاع والتخاصم ، والإختلاف والتشتّت ، لنستعيد ـ بأخلاقنا الاسلامية السامية ـ عزّنا و كرامتنا ، ومجدنا ورفعتنا ، وحياتنا المثالية الزاهرة .

(إنّ اللهَ يأمرُ بالعدْلِ والاحسان وإيتاءِ ذي القُرْبى وينهى عن الفحشاءِ والمنكرِ والبغيِ يَعِظُكم لعلكم تذَكرون) النحل : ٩٠ .

(ومَن يبتغِ غيرَ الاسلامِ ديناً فلن يُقبلَ منهُ وهو في الآخرةِ مِن الخاسرين) آل عمران : ٨٥ .

الفهرس

الطبعـــة الاولى

سنة ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م

طبـع على نفقة بعض المؤمنين

تصويبات

بالرغم مما بذلناه من جهد في تصحيح الكتاب ، فقد وقع فيه ما يحسن التنبيه عليه وإن كان لا يخفى على القارىء الفطن :

صفحة	سطر	الكلمة	صوابها
٧	٢٢	الانساں	الانسان
٨	٢٥	الغاس	الناس
٢٢	١٣	لجاك	الجأك
٢٤	٤	وخفت	وخفيت
٢٤	٥	عن	على
٢٥	١٦	الكذب	الكذاب
٢٩	٧	حديت	حديث
٥٠	١٤	أنبئكم	أنبئكم
٥٢	١٥	بنبا	بنبإ
٦٧	٢٠	الزاقي	النراقي
٦٨	١٨	لقد	فقد

مصادر الكتاب

١ ــ القرآن الكريم	كتاب الله الخالد
٢ ــ نهج البلاغة	لأمير المؤمنين (ع) جمع الشريف الرضي
٣ ــ رسالة الحقوق	للامام زين العابدين (ع)
٤ ــ الكافي	للشيخ الكليني
٥ ــ التهذيب	للشيخ الطوسي
٦ ــ قرب الاسناد	للحميري
٧ ــ الوسائل	للشيخ الحر العاملي
٨ ــ مجمع البيان	للشيخ أبي علي الطبرسي
٩ ــ مشكاة الأنوار	للشيخ أبي الفضل الطبرسي
١٠ ــ جامع الأخبار	. . . .
١١ ــ روضة الواعظين	للشيخ أبي علي الفتال
١٢ ــ تنبيه الخواطر	للشيخ ورام بن أبي فراس
١٣ ــ شرح نهج البلاغة	لابن أبي الحديد
١٤ ــ تاريخ دمشق	لابن عساكر
١٥ ــ احياء العلوم	للشيخ الغزالي
١٦ ــ العقد الفريد	لابن عبد ربه
١٧ ــ المستطرف	للشيخ شهاب الدين
١٨ ــ الرسائل	للشيخ مرتضى الأنصاري
١٩ ــ المكاسب	« « «

٢٠ـ مرآة الكمال — للشيخ عبدالله المامقاني
٢١ـ مجمع البحرين — للشيخ فخر الدين الطريحي
٢٢ـ جامع السعادات — للشيخ محمد مهدي النراقي
٢٣ـ الكنى والألقاب — للشيخ عباس القمي
٢٤ـ موعظة السالكين — للسيد محمد علي العظيمي
٢٥ـ معادن الجواهر — للسيد محسن الأمين

وهناك مصادر أخرى لم ندرجها في الهامش .

المكتبة الدينية العامة

في الحسينية التي شيدها المحسن المرحوم الحاج علي مسير في محلة الدوريين .

(أهدافها)

◎ العمل في سبيل تركيز العقيدة الاسلامية في النفوس ، وخاصة الناشئة الذين هم أولى بالاصلاح والرعاية .

◎ نشر أحكام الدين الحنيف ومذهب أهل البيت عليهم السلام .

◎ دحض جميع الشبه والأراجيف التي يبثها اعداء الاسلام على اختلاف ألوانهم .

وهي تدعو الكتّاب والمؤلفين ، وكلّ من يهمّه أمر المسلمين ، إلى مؤازرتها ليتسنى لها تحقيق أهدافها ، والله ولي التوفيق .

مطبعة المعارف ــ بغداد
٦٨/٢٠٠٠/٣٥

سنة ١٣٨٨هـ
١٩٦٨م

ثمن النسخة ١٥٠ فلساً